العدد الأخير

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

عدد ممتاز

الخميس ٥ محرم ١٣٨٥ هـ - ٦ مايو ١٩٦٥ م

الرسالة

رئيس التحرير:
أحمد حسن الزيات
تصدرها
الثقافة والإرشاد القومي

تليفون ٥٣٩٤٠
٤٢٧٩٤

في هذا العدد

الاشتراكات:
١٥٠ قرشا سنويا
يضاف أجر بريد من
خارج ج. ع. م.
الإدارة :
٢٧ شارع عبدالخالق ثروت
بريد: محمد فريد - القاهرة.

العدد ١١١٢ - الخميس ٥ من محرم ١٣٨٥ هـ - ٦ من مايو ١٩٦٥ - السنة الثانية والعشرون

ما أشبه الليلة بالبارحة ..



من تبوك إلى فلسطين

بقلم أحمد حسن الزيات

اقبل العام الهجرى التاسع على المسلمين فى المدينة وقد فتحت مكة وطهرت الكعبة وحررت الجزيرة وعمت العقيدة وتمت الوحـــدة الا آثارا من الشرك فى نفوس بعض الأعراب ، واوكارا للنفاق فى رءوس بعض السادة ، واوشك نور الله أن يستفيض على ايوان كسرى من مشارق الحيرة ، وعلى عرش قيصر من مشارف الشام • هنالك اوجس فى نفسه خيفة كبير الروم وخشى أن يشرق ذلك النور الالهى على ظلام ملكه الغافل الفانى فتبصر عيون وتفقه قلوب وتعز انفس ، فاعد العـدد وجيش الجيوش ووقف متاهبا على حدود فلسطين •

وتادى خبر هذا الزحف الى القائد الأعظم صلوات الله عليه فاستنفر القبائل للقائه بكلمة التوحيد وصده بسيوف الفتح • وكان الوقت يومئذ بين اواخر الصيف واوائل الخريف فهو قيظ وومد • وكان الناس من لفحـات الحر قد لاذوا بحوائط النخل الباسقات وقد أوشك طلعها النضيد أن يتم نضجه ، فهى ماء برود ، وفيء متصل ، ونسيم منعش ، وثمر دان • وجاءهم النفير الى غزو الروم وهم على هذه الحال من الاخلاد الى النعيم والنزوع الى السكينة • ولم يكونوا جميعا قد دخلوا فى دين الله عن ايمان وايثار كما دخل فيه المهاجرون والأنصار وانما كان فيهم من دخله وفى نفسه حاجة وفى قلبه مرض • فلما قيل لهم انفروا فى سبيل الله أبطأت بهم النيات ، وجرت على السنتهم الأعذار ، فقال قوم لا تنفروا فى الحر والعدو على الحدود • وبلغ الاستهتار برجل من بنى سلمة أن قال للرسول وقد ساله : هل لك العام فى جلاد بنى الأصفر ؟ : يا رسول الله ائذن لى ولا تفتنى • فوالله لقد عرف قومى أنه ما من رجل اشد عجبا بالنساء منى • وانى لأخشى ان رايت نساء الروم الا اصبر • وشق على بعضهم أن يدع الظل والماء والثمر والمال والأهل الى سفر بعيد وعدو شديد وصحراء محرقة •

واهتبل المنافقون هذه الفرصة فاجتمعوا فى بيت سويلم اليهودى يخذلون الناس ويدعون الى التخلف ، فارسل الرسول اليهم من حرق هذا البيت عليهم ، فخشعوا وسكنت من بينهم عقارب عبد الله بن ابى ، وخفتت أصوات المخذلين والمعذرين والمترددين واقبل جنود الله وحماة الدعوة يجهزون جيش العسرة بأموالهم واموال الأتقياء من الأغنياء حتى لم يبق الا الذين يطوون صدورهم على التقوى ، ويقبضون ايديهم على الفاقة • فجاءوا الرسول يريدون ان يحملهم معه ، فحمل منهم من حمل ، وقال للباقين لا اجد ما احملكم عليه ، فتولوا واعينهم تفيض من الدمع حزنا الا يجدوا ما ينفقون فسموا لذلك بالبكائين •

واجتمع لهذا الجيش على كثرة العنت وقلة النفقة ثلاثون الفا من المجاهدين الأبرار ليس فيهم زائغ ولا منافق ، حتى عبد الله ابن ابى ؟ اقبـــل بوجهه الآخر فى جيش من قومه يريد أن يخرج مع جيش الرسول فرده صلوات الله عليه الى المدينة لضعف الثقة به •

وامر القائد الأعظم فسار الجحفل الجرار يثير النقع ويزحف بالحصا ويرمى بسقاة الحتوف الفيافى القفر مع اللغب والسغب والظما حتى بلغ بهم تبوك •

وكان الروم قد علموا بخروج المسلمين اليهم فى هذا العدد وتلك العدة فتفرقوا فى مسارب الشام ناجين بانفسهم وكفى الله المؤمنين القتال • وعاد رسول الله الى المدينة بعدما اخذ العهود وامن الحدود وساق اليه ابن الوليد من دومة ما ساق من ابل ونساء ودروع وبر •

وتلقاه المتخلفون بالندم المصطنع والاعتذار الكاذب فترك لله حسابهم الا ثلاثة اعترفوا بالتخلف من غير عذر ، واقروا بالذنب من غير ضرورة ، وهم كعب بن مالك ومرارة بن الربيع وهلال بن امية ، فرأى الرسول الكريم ان فيهم استصلاحا فامر المسلمين فاعرضوا عنهم خمسين يوما لا يكلمهم احد ، ولا يصل بينهم وبين مسلم سبب ، حتى تساقطت نفوسهم من الأسف ، وانقبضت صدورهم من الكرب ، وباتوا الليالى نادمين سادمين يتجرعون العذاب فى سبيل المغفرة ، حتى ان احدهم شد نفسه الى عمود المسجد واقسم ألا يحل حتى يتوب الله عليه • ثم ادركتهم الرحمة من قابل التوب وغافر الذنب فانزل فيهم قوله : « وعلى الثلاثة الذين خلفوا ، حتى اذا ضاقت عليهم الارض بما رحبت وضاقت عليهم انفسهم وظنوا أن لا ملجا من الله الا اليه ثم تاب عليهم ليتوبوا ان الله هو التواب الرحيم » •

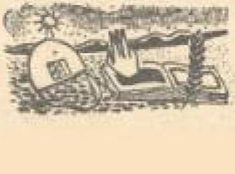
ثم دار الزمان ودار معه الانسان فلم يختلف ابن الفلك ، ولم يتغير ابن آدم ! الناس نسخ مصورة ، والتاريخ صحف مكررة ، فالروم بالأمس فى تبوك هم الصهاينة اليوم فى فلسطين • وجيش العسرة الذى أرهق تجهيزه الرسول هو الجيش الموحد

الذى يحاول تاليفه مؤتمر القمة ٠ والماء والظل والثمر التى كانت تغرى المترفين بالقعود ، هى الدولار والدينار والنعمة التى تغرى الوادعين بالسلم ٠ والمنافقون والمعذرون والمتخلفون الذين شاقوا الله ورسوله تجد صورهم اليوم فى وجوه الرجعيين والانفصاليين والانتهازيين من كل خداع يتظاهر ببغض المستعمر وهو عميله ، وطماع يستاثر باموال الشعب ويزعم انه وكيله ! اما المجاهدون الصادقون الاطهار فهم الثلاثة الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه فى مصر والعراق والجزائر فرسموا الطريق وعينوا الغاية ، وجعلوا من مؤتمرى القمة طريقا الى الجماعة وسبيلا الى الوحدة ٠

واما البكاءون فهم ثلاثة ارباع المليون من عرب فلسطين الذين اخرجوا من ديارهم بغير حق ، وجردوا من اموالهم بغير رحمة ، وقضى فى مصيرهم بغير عدل ، وتركوا يعيشون فى المضارب والملاجىء عيش الحرمان وهم ينظرون الى رياضهم الجنية تعيث فيها الذئاب ، والى حياضهم الروية تلغ فيها الكلاب ، فلا يملكون لانفسهم الا عبرات تنحدر وزفرات تتصعد ٠

من اجل هؤلاء قامت الثورة ، ومن اجل هؤلاء حقت الوحدة ٠ ومن اجل هؤلاء دعا عبد الناصر ملوك العرب ورؤساءهم ليحللوا ما بينهم من العقد ، ويمضوا امرهم بالاتفاق فى خطر اسرائيل ٠ فلبوا الدعوة وصفوا الكدورة وجمعوا الكلمة ووحـــدوا الخطة وبداوا العمل ٠ ولكن نار الجد ذوبت الغش فقال قوم ان قضية فلسطين ادبية لا سياسية ، وقال آخرون انها مشرقية لا مغربية ،وقال (عبد الله ابن ابى)انها مشكلة لا يحلها الا البرقيبية ٠ وامتحن الله العواصم العربية بالخلاف بينهـا وبين (بون) الالمانية على اهدائها السلاح الى اسرائيل ، فاطبق ساستها على موقف العداء منها تنفيذا لما اجمع عليه مؤتمر القمة الا ثلاثة كثلاثة تبوك خرقوا الاجماع وشعبوا الراى ونقضوا العهد وهم اصحاب ليبيا وتونس والمغرب، ولكن اهل ليبيا وتونس والمغرب غيراصحاب الحكم فيها لايوليهم عن قبلتهم قعقعة السلاح ولا وسوسة الذهب، ولا يقطعهم عن اخوانهم فى الدين والعروبة رغب ولا رهب ، وسيحملون كبراءهم الذين اضلوهم السبيل على ان يرجعوا الى الله بالتوبة ، ويعودوا الى الصف بالاســـتقامة ٠ ويومئذ يمضى الجيش المحمدى كله عظيما الى النصر ، وينطلق الشعب العربى كله سليما الى الوحدة ٠

« احمد حسن الزيات »



وحي الهجرة

إلى الأمة العربية في ظروفها الحاضرة



للدكتور: محمد عبد الله العربي

تأتي ذكرى الهجرة هذا العام ، والعالم العربي فى أشد الحاجة الى استذكار كل معنى من معانيها، والى استيعاب كل درس من دروسها .

كلنا نعلم ان الاسلام كان خاتم الهدايات الالهية الى البشر ، لتقيمهم على الصراط المستقيم ، بعد ان تعثرت الرسالات السماوية التى تواترت منذ هبط آدم الى الارض ، فى الاخذ بزمام الانسان الى الرشد ، فيما آتاه خالقه من اختيار ميزه على ملائكة السماء .

وكلنا نعلم أن هجرة خاتم رسل الله من مكة ـ مهد الدعوة ـ كانت ضرورة حتمية من ضرورات نجاح رسالته ، وكلنا نعلم كيف تآمرت قوى الشر من قريش على احباط الدعوة الاسلامية والقضاء عليها فى المهد .

وكلنا نعلم ما لقيه المسلمون الأوائل من التعذيب المادى والمعنوى والحصار الاقتصادى ، والاضطهاد والكيد الذى وصل الى الشروع فى اغتيال الرسول نفسه عند خروجه من داره . وكيف كانت قدرة الله ـ بغير اى مجهود بشري ـ كفيلة بنصر رسوله وتابعيه الاوائل على العصابات القرشية ، ولكنه ـ جلت حكمته ـ اراد ان يلقن البشرية درسا لاتنساه فى الاخذ باسباب النصر ، ودرسا فى الصمود للشدائد ، ودرسا فى التضحية بكل عزيز فى سبيل نصر المبادىء ، وايثارها على كل زخارف الحياة ، حتى تصل النفس الانسانية الى اسمى ما تستطيع بلوغه من مراتب الكمال .

وكلنا نعلم ان اول سبب من اسباب النصر هو اعداد القوة للقضاء على الطغيان اذا فشل الاقناع، واخفقت الدعوة الى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة « وأعدوا لهم ما أستطعتم من قوة » فاذا تعذر استجماع القوة فى مكان فهل نرضى بالبقاء محاصرين مستضعفين فيه ، أم نبحث عن منفذ آخر نستجمع فيه القوة المنشودة ، واذا آنسنا بريقا من الامل فى المكان الجديد الا نهرع اليه ونغالب جميع الصعاب حتى نركز فى حماه معركة النصر ؟.

وهذا ما كان .

وكان أول درس من دروس الهجرة ـ للانسانية عامة وللأمة العربية خاصة ـ الا ترضى بالبقاء شعوبا مستضعفة ، يجرى عليها البغى وهى مستكينة الى مهجعها الذليل ، والا تتردد فى النفرة خفافا وثقالا مهما تألبت عليها قوى الشر التى لا قبل لها بمنازلتها ، والا تكف ابدا عن السعى والتدبير حتى توفق الى مخرج صدق ومصدر جديد يؤتيها ما تفتقر اليه من قوة .

« الا تنصروه فقد نصره الله ، اذ أخرجه الذين كفروا ثانى اثنين ، اذ هما فى الغار ، اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا ، فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها ، وجعل كلمة الذين كفروا السفلى ، وكلمة الله هى العليا » . .

نعم نصره الله ، بأن هداه الى الاخذ بأول سبب من اسباب النصر ، وهو السعى الى مخرج جديد يكفل موالاة الكفاح فى سبيل الحق معتمدا على تأييد الله ، سنة الله الذى يريد لعباده أن يستقيموا

أبدا على محجتها : لا استسلام للبغى ، ولا مساومة مع الباطل ، ولا اذعان لما نسميه بلغة هذا العصر انصاف الحلول مع الطغاة ٠

ومن قبل ، وهو وحيد لا حول له ولا قوة ولا انصار الا ثلة قليلة من السابقين الى الاسلام، رفض خاتم رسل الله كل مساومة مع الباطل ، ورفض كل اغراء بزخارف الحياة ، وقال كلمته التى زلزلت قلوب الطغاة : « والله لو وضعوا الشمس فى يمينى ، والقمر فى يسارى ، على أن اترك هذا الامر حتى يظهره الله او أهلك فيه ما تركته » ..

وهاجر الرسول الى يثرب ، بعد ان قضى بمكة ثلاث عشرة سنة يدعو كفار قريش الى مبادىء الاسلام ومثله العليا ، فما أسلم منهم الا قليل . ولكن هذه السنوات لم تذهب سدى ، بل انشات جيلا من المسلمين رباهم الرسول على يديه ودربهم أكمل تدريب على هدى الاسلام ، فكانوا جيلامثاليا، لم تظفر الانسانية بمثله من قبل ولا من بعد ..

هاجر الرسول الى يثرب ملبيا دعوة من بايعوه فى بيعة العقبة الكبرى ، وكانت بيعتهم ان قالوا : « بايعنا على السمع والطاعة فى عسرنا ويسرنا ومنشطنا ومكرهنا ، وان نقول الحق اينما كنا ، لا نخاف فى الله لومة لائم »

بهؤلاء وأولئك من مهاجرى مكة وضع الرسول نواة أول دولة عربية اسلامية . ويهمنا هنا ان نتدبر الاسس التى أقام عليها الدولة فى نشأتها الاولى :

انه اقامها على اساس من المساواه القائمة على اخاء روحى بين المواطنين جميعا مهما اختلفت مراتبهم وثرواتهم او تفاوتت أنسابهم ، وعلى اساس من اشتراكية متكافلة متعاونة ، وعلى أساس من وحدة شاملة متماسكة ، وعلى اساس من حرية الرأى وحرية القول ، وعلى اساس من الشورى فى سياسة الشئون العامة ٠ وكان فى هذا كله منفذا لهدى الله فى اقامة مجتمع انسانى رفيع ٠

فلا غرو ان يكتب الله النصر لهذه المدينة الصغيرة التى وقفت بهذه المبادىء تتحدى العالم حولها ، بما فيه من امبراطوريات شامخة البنيان، تدل بسلطانها، وتعتز بباطلها ، فاذا باطلها ينهار أمام دعوة الحق ، واذا جحافلهاوكل ماتعتز به من أسلحة مادية ـ خفيفة وثقيلة ـ تنهزم أمام الجندى العربى الذى كان أقوى سلاح لديه سلاحه الروحى : مبادىء الاسلام ٠

ففى سبيل الوحدة آخى الرسول بين المهاجرين والأنصار ، وجعل كل اثنين أخوين ، لافرق بين رفيع ووضيع ، وفى سبيل الاشتراكية طبق صورة فريدة منها ، قضت بها ظروف الأيام الاولى من هذه الفترة : فقد جاء المهاجرون الى يثرب بعد ان تركوا اموالهم ومتاعهم وكل مايملكون فى مكة ، فقضى الرسول بان يكون المهاجر شريكا لاخيه الانصارى فى ماله شركة كاملة ، وامتد حكم هذا الاخاء الى حق التوارث بين الأخوين ٠ واستمرت هذه الشركة الروحية المالية بين المهاجرين والانصار الى ان انفرجت هذه الأزمة العابرة ، وافاض الله على أهل يثرب غنائم الجهاد ، وآتى كثيرا من المهاجرين ثمار كدحهم فى التجارة والزراعة ٠ ثم قامت مقامها سياسة الاسلام فى المال ، السياسة الاشتراكية التى تجعل من ملكية المال وظيفة اجتماعية ،وتحول دون تكدس الثروة القومية فى ايدى فئة قليلة ، وتوجه خير المال بكل صوره وأوضاعه الى المجتمع كافة ، فيتعاون أفراده وطبقاته فى رباط وثيق لا انفصام له ٠٠ وهذا طراز من الاشتراكية لم تصل الى ذروته أية اشتراكية من اشتراكيات الشرق أو الغرب ٠

ان الدرس الذى توحيه هذه التجربة لاشك قد لمسه القارىء بغير حاجة الى تبيين :
ان الاخاء الروحى متى ساد فى المجتمع مستندا الى مبدأ المساواة ، أصبح المجتمع كله وحدة متماسكة ، وتهيأ المجتمع لقبول أية سياسة خيرة للمال أو للحكام ، تمليها ظروف المجتمع ، وتقضى بها ضرورات المجتمع ، فى نطاق تعاليم الاسلام الكلية ٠

وجعل الرسول من مدينته الاولى ـ نواة الدولة الاسلامية ـ وحدة لا تمزقها النزعات القبلية أو المحلية ، تلك النزعات التى عندما اشتعلت نيرانها فيما بعد كانت من أهم أسباب تفكك الامة العربية ٠

ان قبيلتى الاوس والخزرج ، وهما اغلبية أهل المدينة ، ظلت الحروب قائمة بينهما ، تؤججها كلما انطفأت مؤامرات يهود المدينة ، اصبحتا بعد الهجرة أخوة متحابين ، ألفت بين قلوبهم مبادىء الاسلام فاصبحوا بنعمة الله اخوانا ٠

والشورى التى جعلها الرسول من البداية أساس تصريف الشئون العامة فى السلم والحرب ، جعلت كل فرد فى المجتمع الناشىء شريكا فى سياسة الحكم ، وجعلت طاعته لتوجيهات أولى الأمرمنبثقة عن طواعية واختيار ، لا عن رهبة من سلطان الدولة ٠

ولو أن الشورى بكل مقتضياتها من انتخاب عام لأولى الأمر ومن مشاركة الشعب مشاركة فعلية فى شئون الحكم ، لو ظلت هذه الشورى مطبقة الى اليوم بكل ما تستتبعه من تفصيل وتنظيم ، ولم تنقلب الى ملك وراثى عضوض ، لظلت وحدة الشعوب العربية قائمة الى اليوم ، لاينال منها عبث الحكام الطغاة ولا عدوان الاعداء المغيرين .

ويجب أن نلاحظ أن التوحيد الذى حققه الرسول بين أهل المدينة **ـ مهد الدولة العربية الاولى ـ** فور الهجرة اليها ، قد تم فى أقسى الظروف : فحولهم القبائل الكافرة تتربص بهم الدوائر ، وقريش من ورائهم تؤلب حشودهم فى محاولة حرب ابادية ، والدولتان المسيطرتان يومئذ على أطراف المنطقة كلها تتحديان هذه القوة الجديدة المنبثقة من قلب الجزيرة العربية .

فى كل هذه الظروف وقفت الوحدة الاولى صامدة، لاتلين قناتها ، ولا تتخاذل عن مبادئها ، وتفضل الاستشهاد فى سبيلها على كل مناعم الحياة ، فكان هذا الموقف من أكبر البواعث على تساؤل القبائل العربية عن مصدر هذه القوة الروحية التى لم يشهدوا لها نظيرا من قبل ، فعرفوا المصدر ،ودخلوا فى دين الله افواجا ، حتى تم توحيد الجزيرة العربية من أقصاها الى أدناها . ثم لم يلبث الهدى الالهى ان نشره هذا الجيل الأول الى اقاصى القارة الافريقية والآسيوية ، وأصبح العالم العربى من المحيط الى الخليج والى ما بعده كتلة واحدة ، تؤلف بينها مبادىء الاسلام ، ومثل الاسلام .

تم كل هذا بالرغم من التصدع الذى أصاب كيان الوحدة فيما بعد ، بانحراف بعض الحكام عن تعاليم الاسلام وتشويهها فى التطبيق . ولكن الدفعة الاولى من الرائدين الأوائل ـ من المهاجرين والانصار ـ ظلت هى القدوة التى تلتزم بها الشعوب العربية فى كل مكان ، والحافز الروحى للصفوة من المجاهدين فى كل عصر .

وبعد ، فان دروس الهجرة أكثر من أن يستوعبها حديث أو مقال . ولكن الدرس الذى اريد ابرازه فى الظروف المعاصرة المحيطة بالعالم العربى هو درس الوحدة :الوحدة التى جاءت فى أعقاب الهجرة، والدعائم التى استندت اليها هذه الوحدة ،والمبادىء التى نسجت كيانها .

ان هذه الوحدة الأولى تنادينا اليوم ان نقيم صرحها من جديد على تلك الدعائم ، وان ننسج كيانها من تلك المبادىء . فليست الظروف المحيطة بنا ، ولا العقبات التى تعترض طريقنا ، أشد ولا أقسى من الظروف والعقبات التى اعترضت الوحدة الاولى . كما ان التجارب المريرة التى اجتازتها شعوب الأمة العربية منذ تصدع الوحدة الاولى أصبحت اليوم تؤجج حمية الشعوب العربية وتزيدها اقتناعا وايمانا بحتمية الوحدة .

فالمطلع على تاريخ هذه التجارب التى توالت على أرض العرب طوال قرون متعاقبة يعجب من مدى القوة التى تبلغها هذه الأمة العربية عندما تتحد شعوبها على تحقيق هدف معين ، ولا يتسع المقام للافاضة فى عرض تاريخى ، فنكتفى فى اثبات هذه الظاهرة بمثلين او ثلاثة :

فقد استطاعت الشعوب العربية المتحدة ان تصد غزو الحروب الصليبية الاستعمارية التى تألبت فيها شعوب الغرب تحت ستار الدين لاستعمار الوطن العربى .

واستطاعت الشعوب العربية المتحدة ان تذود عن الوطن العربى الكبير أجرأ غزو عرفه التاريخ : غزو التتار ، الذين أغارت جحافلهم من الصين واجتاحت فى سبيلها القارة الآسيوية وبعض القارة الاوروبية، ولم تستطع يومئذ ان تقف فى وجه غزوها المدمر امبراطوريات ضخمة ودول عاتية .

واستطاع اتحاد الشعوب العربية مع شعب مصر فى خريف ١٩٥٦ ان يحبط أضخم اعتداء مسلح تشنه دولتان من الدول العظمى .

اما امثلة الفشل من جراء تفكك عرى الوحدة العربية فكثيرة يخطئها الحصر : نذكر منها **مأساة** فلسطين ، ولا اريد الآن ان أزيد حرفا واحدا على ماكتبه فيها الكاتبون ونظمه الناظمون ، والحمد لله ان قد انتهى الآن دور القول والنظم ، ودخلنا فى دور العمل الايجابى ، وخطونا الخطوات الجادة فى مرحلة التحرير .

ونذكر مأساة الاندلس : فكلنا نعلم ان العرب استوطنوا هذه الديار ثمانية قرون ، وعمروها عمرانا لم تسترده اسبانيا الى اليوم باعتراف مؤرخى الغرب ، ورفعوا فيها لواء العلم والحضارة ، والتسامح والمساواة ، يستظل بظله من يشاء من جميع الاجناس والأديان .

هؤلاء العرب احتفظوا بقوتهم ومنعتهم سبعا

« **البقية على صفحة ٦١** »

الحضارة العلمية الإسلامية

تصمد لافتراءات المغرضين

للدكتور عبد الحليم منتصر

يقول « **تشارلس سنجر** » ، وهو من مؤرخى العلم فى العصر الحديث ، ان الحقبة التى تمتد من سنة ٢٠٠ الى سنة ١٢٠٠ م ، على مدى الف عام ، انما تعتبر عصر ظلام دامس بالنسبة للعلم ، وانه منذ « بابنرس » و « ديسقوريدس » و « وبنيس و «هيروفليس» لم يظهر على مسرح العلم من يستحق فى رايه ان يذكر .

ويعلل سنجر ذلك بقوله : انه بموت أرسطو بعد الاسكندر بعام واحد فقدت الولايات الاغريقية استقلالها ولم تعد المعرفة تطلب لذاتها ، وكان العلم هو الوليد الجديد الذى رعته هذه الولايات ، وان المواطنين فقدوا مع حريتهم حرية التفكير ، واستمر العلم حقبة استمرت زهاء خمسمائة عام فى الاسكندرية حتى سنة ٢٠٠ م .

ويرى البعض أن اضطهاد الكنيسة للعلماء ، كان السبب فى أفول نجم العلم ، وحرية الفكر العلمى ، كما أن حكام الامبراطورية الرومانية لم يعنوا بنشر العلم ، عنايتهم بنشر سلطانهم ، وتقوية نفوذهم فى البلاد التى يحكمونها ، وان هؤلاء الحكام ، لم يهتموا الا بالناحية التطبيقية للعلم ، أما البحث ومحاولة الكشف بقصد المعرفة ، فلم يعنوا به أبدا بل أهملوه اهمالا . فانطفأ هذا السراج فى أوربا .

ويقول « سنجر » انه اذا اضطرت البشرية يوما الى القنوع بالناحية العملية التطبيقية للعلم ، فستعود الانسانية الى عهد الظلام حتما مرة أخرى ما لم يوجد أناس يعكفون على البحث العلمى المجرد ، والكشف عن النظريات والآراء العلمية الحرة ، التى تقدر العلم والمعرفة لذاتها .

وليس من شك أن « سنجر » قد جانبه التوفيق ، فى التجنى على العلم العربى فى العصر الاسلامى وانكار فضله ، واعتبار هذه الحقبة ، التى ازدهرت فيها الحضارة العلمية الإسلامية وازدانت بعشرات ومئات من العلماء العرب ، الذين تفاخر بهم الأجيال ويزدان بهم العلم فى كل عصر وأوان ، الذين قادوا الانسانية فى فترة كانت أوربا فيها غارقة فى الظلام والجهالة ، فتابعوا الدراسة العلمية على أرفع مستوى .. نقلوا العلم الاغريقى والعلم الاسكندرى ، ونقلوا العلوم السريانية والفارسية والهندية .

لقد ترجم العرب ابان ازدهار الحضارة العلمية الاسلامية علم هؤلاء وأولئك واضافوا اليه الكثير ، وكانت كتبهم مراجع معتمدة لدى أهل أوربا حتى منتصف القرن السابع عشر وقد ترجمت المؤلفات

العربية فى الطب والتشريح والجغرافيا والكيمياء والنبات والحيوان والمعادن والرياضيات ، وكان اختراع آلة الطباعة فى منتصف القرن الخامس عشر سببا فى أن يعاد طبع هذه الذخائر العلمية العربية عدة مرات ، وكذلك غدت مؤلفات العلماء المسلمين القناديل التى اضاءت منها اوربا مصابيحها او الينابيع التى استقى منها اهل اوربا مصادر العلم الحديث ·

على أن « سنجر » نفسه ، يعود ليعترف بفضل الاسلام والعلماء المسلمين ولكن فى حدود ، وعلى استحياء ، فيقول ان القيادة العلمية والفكرية ، قد انتقلت الى العرب المسلمين ، وبلغتهم العربية وان هذه القيادة قد ظلت فى أيديهم حتى القرن الثالث عشر ، وامتد هذا الغزو العلمى من الشرق الأدنى ، وشمل شمال أفريقيا كله ، ثم عبر البحر الى اسبانيا والبرتغال وجنوب ايطاليا وصقلية ، وكثير من جزر البحر المتوسط ، وشعر الأوربيون بتخلفهم عن العرب وحاجتهم الى الاغتراف من هذا المعين الجديد ، والنهل من هذا النبع الصافى فترجموا كتب العرب الى اللغة اللاتينية ·

وقد بدا عصر ترجمة العلوم من العربية الى اللاتينية فى القرن الحادى عشر الا أن هذا العمل لم يتكامل بصورة جدية الا فى القرن الثالث عشر ، وكذلك ترجمت أيضا مرة أخرى أعمال أرسطو وجالينوس وديسقو ريدوس وبلينى ·

ونشأت فى القرن الثالث عشر ، جامعات فى أوربا ، نشأت جامعة باريس أولا ، ثم جامعة اوكسفورد ، وكمبردج ، وبادوا وغيرها من جامعات، وقد ألهبت هذه الجامعات حماس الشباب الى الاغتراف من بحر المعرفة الذى لا ساحل له ، ولفتت الأنظار الى المؤلفات العربية من علمية وفلسفية وانتشرت الدعوة الى ترجمة هذه الذخائر ودراستها·

ومن العلماء الذين اشتهروا فى هذه الحقبة ودعوا الى المنهج الاستقرائى والى العناية بتسجيل الملاحظات والمشاهدات ، وكان لهم أثر كبير فى انهاض الفكر العلمى الأوربى « **روبرت جروست** » سنة ١٢٥٠ م ، و « البرت ماجنوس » سنة ١٢٨٠ م ، و « روجر باكون » سنة ١٢٩٤ م ، وكانوا أساتذة فى الجامعات واشتهروا بدراسة علم الضوء ، فقد كان هذا العلم من أوائل العلوم التى تناولها الأحياء فى العصور الوسطى ، وكانت لهم دراسات على العدسات ، وكان باكون أول من اشار باستعمالها نظارات ·

وليس من شك فى ان أعمال هؤلاء الأوربيين فى علم الضوء ، لا يمكن أن تكون بعيدة عن أعمال « ابن الهيثم » العالم العربى الأشهر ، الذى جعل من علم الضوء « المناظر » علما له اصوله ، وفروعه ، ورسم رسوما بالغة غاية الدقة للعين وأجزائها ، بل أطلق اسماء على بعض أجزاء العين ما زالت مستعملة حتى الوقت الحاضر كالشبكية والقرنية والسائل المائى والسائل الزجاجى · وهو أول من قال بان الضوء ينتقل فى زمان وليس فى الآن كما قال غيره وابتكر تجارب لتقدير سرعة الضوء وبذلك ابطل نظرية السرعة الآنية · كما أجرى تجارب كثيرة على انكسار الضوء ، وكان يسميه الانعطاف ·

اما « **ماجنوس** » فانه وان يكن اقل اصالة فى التفكير العلمى من « **جروست** » أو « **روجر باكون** » الا أنه ابعد أثرا فى العصر الذى عاش فيه ، لقد درس كتب ارسطو المترجمة عن العربية ، وكان عالما فى التاريخ الطبيعى ، وله ملاحظات ومشاهدات بارعة ، كتب رسالة فى الحيوان ، زينها برسوم دقيقة لأجنة الطيور والأسماك والثدييات ، وأخرى فى النبات تعتبر من اعظم مؤلفاته ، بل أعظم انتاج العصور الوسطى ·

ولا أظن مؤلفات ابن سينا فى التشريح والحيوان، كانت بعيدة عن السيد « ماجنوس » ولعلها المصدر الذى منه استقى الى جانب مؤلفات ارسطو ولا يمكن ان يغيب عنه هذا الجزء الرائع من كتاب الشفاء للشيخ الرئيس الذى تكلم فيه عن الحيوانات المائية والبرية والأسماك والطيور والزواحف وما اليها · كما درس العضلات والأعصاب والألياف والأوردة والشرايين وغيرها ·

اما «**باكون**» فقد أضاف كثيرا الى المعارف العلمية، وخاصة الطريقة العلمية وما أشك فى أن ابن الهيثم قد سبق باكون فى الأخذ بالطريقة العلمية ورسائل اخوان الصفاء ورسائل العلماء العرب عامة حافلة بالحض على التجربة والمشاهدة والاختبار (الاعتبار)

والتثبت وعدم التعجل ، وجمع المشاهدات والملاحظات واستقرائها ٠

وفى القرن الرابع عشر ، بدأ عصر الرحلات والاسفار فى أوربا وتجمعت المعلومات عن غرائب الكائنات والموجودات ، وصارت هذه تأتى عبر البحار، واتسعت التجارة مع المشرق ، وغدت العقاقير تأتى الى أوربا من البلاد الأخرى ، ومع التجارة كثرت قصص التجار والرحالة ، منها ما هو حقيقى كتلك التى رواها «ماركو بولو» ومنها ما هو خيالى كتلك التى رواها السير جون «مندفيل» ، ونظمت رحلات استكشافية على نطاق واسع مثل رحلة « فاسكو دى جاما » (١٤٣٦ ـ ١٥٢٤) الى جزر الهند الشرقية ، وكرستوفر كولمبس (١٤٤٦ ـ ١٥٠٦) الى جزر الهند الغربية ٠

على أن كثيرا من السادة مؤرخى العلم من الغربيين، ينكرون فضل ابن مسكويه وابن خلدون ، حين الحديث عن التطور ، مع أنهما يسبقان داروين بمئات السنين ، ويتناسون آراء الخازن والادريسى ، وبنى موسى ٠ حين الحديث عن الجاذبية والميكانيكا (علم الحيل) ،ينسبون الفضل كل الفضل لعالمهم الاكبر « **نيوتن** » ويتباهون بأن « **هارفى** » هو وحده الذى كشف الدورة الدموية ، وينسون الطبيب العربى المصرى الاشهر ابن النفيس ، ويذكرون رحلات « فاسكو دى جاما » و « ماركو بولو » ويتجاهلون رحلات ابن جبير وابن بطوطة وغيرهما من كبار الرحالة العرب الذين قاموا برحلات جبارة ولا يذكرون أن من هؤلاء الرحالة من لم يكن يملك سوى قدميه ليقطع عليهما آلاف الأميال، وانه ليفعل ذلك طائعا مختارا فى سبيل تحقيق رسالة علمية ، أو الاطلاع على نسخة خطية من كتاب ، او مقابلة عالم من العلماء ، حتى قال عنهم المستشرق «نيكلسون» انهم يعودون من هذه الرحلات كما يعود النحل محملا بالعسل ٠

ومن عجب أن ينسى السادة مؤرخو العلم من الغربيين ، أمثال **البتانى والبيرونى والبوزجانى والفرغانى ، والخوارزمى** ، وأمثالهم من الفلكيين العرب ، حين يتحدثون عن تقدم علم الفلك ، وانما يذكرون جاليليو ، ودافنشى ، وكوبرنيق ، وواضح انه لولا أعمال العلماء العرب فى هذا المجال ، لاضطر علماء النهضة الاوربية من امثال ماذكرنا أن يبدؤوا من حيث بدأ هؤلاء ، ولتأخر سير الحضارة عدة قرون، ومع ذلك فان أحدهم وهو « لالاند » لم يستطع أن ينكر الشمس الساطعة فى وضح النهار ، فاعتبر البتانى ، من العشرين فلكيا المشهورين فى العالم ٠

وهل ينسى هؤلاء فضل الخوارزمى على علمى الحساب والجبر ، بل فى ابتكار نظام الأرقام التى يستعملها الغربيون أنفسهم والتى يسمونها الارقام العربية ، وانها لتفضل بلا مراء نظام الحروف التى كانت مستعملة قبلا ٠

لاشك أن من واجبنا أن نعمل على تصحيح التاريخ العلمى ، وأن نحسن التعريف بالعلماء فى العصر الاسلامى الزاهر ، وأن نعرض اعمالهم فى ثوب عصرى وباسلوب العصر ولغته ، وأن نربط بين ما حققوه فى العلوم المختلفة ، وأن نبين الى أى حد استفاد منهم علماء النهضة الاوربية ٠ فبذلك نضع حدا لهذه الافتراءات التى يكيلها الفرنجة من امثال « سنجر » وكتاب بعض دوائر المعارف الأجنبية للعلماء العرب ، فيجحدون فضلهم ، بدل أن يعترفوا بافضالهم على العلم والانسانية ٠

وبعد ٠٠ فمن واجبنا أن نزجى الحمد للعلماء الاسلاميين بمناسبة عيد الهجرة فقد كان الاسلام صاحب الفضل الاكبر فى توجيه العلماء المسلمين نحو النهل من موارد العلم الصافية ، والتفكر فى ملكوت السموات والارض ، وفى الكون والكائنات والمخلوقات وكان الخلفاء والحكام يتفاخرون بمن يحضر مجالسهم من علماء ، وما ينشئون من دور العلم والكتب وما ينفقون على ترجمة الكتب من نفقات ، وما يقفون على معاهد العلم من أوقاف سخية لقد رعى الاسلام حرية الرأى ولم يحجر على التفكير العلمى ، فكانت هذه النهضة العلمية العارمة التى سطع نورها قويا وهاجا ، استضاءت بنورها اوربا حين نهضت ، ذلك قول الحق ولو كره الكارهون » ٠

« د ٠ عبد الحليم منتصر »



السنة العربية والأشهر الحرم

للدكتور: على عبد الواحد وافى

كانت السنة العربية مستخدمة فى التقويم الجاهلى من قبل الاسلام بامد طويل . وكان لشهورها فى اقدم العهود اسماء اخرى غير الاسماء المعروفة الآن ، وان اختلف الرواة فى تحديد تلك الاسماء وأما اسماؤها المستعملة الآن فالمشهور انها وضعت فى عهد كلاب (أو حكيم) بن مرة أحد أجداد الرسول عليه السلام (الجد الخامس) . وكان ذلك قبل الاسلام بنحو قرنين . وكان آخر تقويم قبل الاسلام يبدأ من عام الفيل ، اى من حادث غزو أبرهة لمكة ومحاولته هدم الكعبة ، وهو العام الذى ولد فيه الرسول عليه الصلاة والسلام . ثم تغير مبدأ هذا التقويم بعد الاسلام فجعل فى عهد عمر من هجرة الرسول الى المدينة ، مع تقديمه نحو شهرين ونصف شهر حتى يتفق مبدؤه مع أول السنة العربية ، وذلك أن التقويم الحالى بدأ من أول المحرم ، مع أن الهجرة كانت فى السادس عشر من ربيع الأول .

وقد اختلف فى تعليل تسمية الشهور العربية بالأسماء التى تطلق عليها الآن . وأشهر ما ورد فى هذا الصدد أن العرب سموا الشهر الأول « المحرم » لحرمة القتال فيه ، فقد كان احد الأشهر الأربعة الحرم (ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب) . والثانى « صفر » لما كان يعتريهم فيه من مرض تصفر به الوانهم ، والثالث والرابع « ربيع الأول » و « ربيع الثانى » لأنهما كانا يأتيان فى الخريف ، وكانت العرب تسمى الخريف ربيعا ؛ والخامس والسادس « جمادى الاولى » و « جمادى الآخرة » لمجيئهما فى أيام الشتاء اذ يجمد الماء ويتساقط الجليد، والسابع « رجب » من الرجب وهو الكف ، لأنهم كانوا يكفون فيه عن القتال ، فهو أحد الأشهر الاربعة الحرم ، أو من الرجب وهو التعظيم لأنهم كانوا يعظمونه فلا يحاربون فيه ، والثامن « شعبان » من انشعاب القبائل فيه الى طلب الماء والكلأ والغارة بعضهم على بعض ، والتاسع «رمضان» من الرمض وهو شدة الحر لمجيئه فى عنفوان الصيف، والعاشر «شوال» من شال القوم اذا ارتحلوا وتفرقوا وخلت منازلهم منهم ، لأنهم كانوا يرتحلون فيه ويتفرقون فى طلب الكلأ والماء ، أو من شالت النوق بأذنابها اى رفعتها لشهوة الضراب ، لأن هذا الشهر كان موسم لقاحها ، ولذلك كانت العرب لاتجيز الزواج فيه حتى لا يتشبهوا بالأنعام ، والحادى عشر « ذا القعدة » لقعودهم فيه عن القتال ، لأنه كان من الأشهر الاربعة الحرم ، والثانى عشر « ذا الحجة » لاقامتهم الحج فيه .

ومع أن السنة العربية سنة قمرية تتحدد شهورها بدورة القمر حول الارض ، ولا علاقة لأشهرها بالفصول ، لان الفصول انما تحدد بدورة الأرض حول الشمس ، فقد يأتى الشهر العربى فى سنة ما فى الصيف ، ثم يأتى بعد بضع سنين فى الخريف ، ثم فى الشتاء ، ثم فى الربيع ، مع ذلك فان بعض الشهور العربية قد سميت بأسماء تشير الى أحوال جوية خاصة أو الى أمور تقع فى فصول معينة . وهى شهور صفر وربيع الأول وربيع الثانى وجمادى الأولى وجمادى الآخرة ورمضان وشوال . وقد علل ذلك

محمود باشا الفلكي (في رسالته التي ألفها بالفرنسية وترجمها الى العربية أحمد زكي بعنوان « نتائج الأفهام في تقويم العرب قبل الاسلام) « بان العرب أطلقت على الاشهر أسماء تناسب الأحوال الجوية او غيرها التي كانت جارية في وقت التسمية فقط ، ولم يرسلوا أنظارهم الى ما وراء ذلك ، لجهلهم أنه بعد مضي سبع عشرة سنة تنتقل شهور الصيف في الشتاء، وبالعكس » والى هذا المعنى يشير الفيروزابادي في « القاموس المحيط ، اذ يقول في مادة «رمضان» انه « سمي به هذا الشهر لأنهم لما نقلوا أسماء الشهور عن اللغة القديمة سموها بالأزمنة التي وقعت فيها، فوافق ناتق (وناتق هو الاسم القديم لرمضان على ما يذهب اليه (الفيروزابادي) زمن الحر » . — او لعل تقويمهم كان في قديم عهودهم تقويما شمسيا، ثم تحولوا عنه فيما بعد الى التقويم القمري مع احتفاظهم بالأسماء القديمة الدالة على الفصول والأحوال الجوية ، وهي أسماء لا تستقيم مدلولاتها ولا تطرد الا مع التوقيت الشمسي . ويذهب بعض الباحثين الى أنه كان لديهم تقويمان تقويم شمسي وتقويم قمري ، وانهم سموا شهور السنة القمرية بالأسماء نفسها التي كانوا يطلقونها على شهور السنة الشمسية ، حتى لا تختلف أسماء الشهور في التقويمين وان كانت المدلولات لا تصدق الا في شهور السنة الشمسية ، ثم اقتصروا فيما بعد على التقويم القمري .

ويظهر انه لم يكن لدى العرب حينئذ فكرة دقيقة عن مدة الشهر القمري من الناحية الفلكية ، وهو الوقت الذي تستغرقه دورة القمر حول الأرض دورة كاملة ، ومقداره تسعة وعشرون يوما واثنتا عشرة ساعة وأربع وأربعون دقيقة وثانيتان وتسع ثوالث ولذلك كانوا يسيرون في الغالب في تقدير هذه المدة على طريقة تقريبية ، فيجعلون شهرا ثلاثين يوما ويجعلون الشهر التالي له تسعة وعشرين يوما ، الا اذا ثبتت رؤيتهم لهلال الشهر الجديد في ليلة غير الليلة المتفقة مع حسابهم التقريبي ، فيصححون بذلك حسابهم .

وفي هذا يقول الرسول عليه السلام : « انا أمة أمية لانكتب ولا نحسب . الشهر هكذا وهكذا » . وأشار في الأولى الى مجموع أصابع يديه ثلاث مرات ، وأشار في الثانية الى مجموعها مرتين وخنس الابهام في الثالثة (أخرجه البخاري عن عبد الله بن عمر ». فقد افتتح الرسول عليه الصلاة والسلام حديثه بقوله « انا أمة أمية لا نكتب ولا نحسب ، يقصد بذلك أنهم لايعرفون قوانين علم الفلك ، وبالتالي لا يعرفون مدة الشهر القمري في صورة دقيقة ، وأنهم لذلك يسيرون في عدة أيام الشهر على طريقة تقريبية فيجعلون شهرا ثلاثين يوما ويجعلون الشهر التالي له تسعة وعشرين يوما . ولاتقاء ماعسى أن يكون في الحساب التقريبي من الخطأ أوجب الاسلام في الشهور المرتبطة ببعض الشعائر الدينية كشهر رمضان الذي تؤدى فيه فريضة الصوم وشهر ذي الحجة الذي تؤدى مناسك الحج في أيام معينة منه ، وخاصة أهم ركن من أركانه وهو الوقوف بعرفة فانه لا يصح أداؤه الا في مدة محددة من اليوم التاسع وليلة العاشر ، أن يعتمد فيها على رؤية الهلال . وفي هذا يقول عليه الصلاة والسلام في شهر رمضان : « صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته ، فان غم عليكم فأكملوا عدة شعبان ثلاثين يوما » .

ويبدو لي انه لا دعي اليوم للاعتماد على هذه الأمور التقريبية بعد أن ارتقى علم الفلك وأصبح في امكان علمائه تحديد أول الشهر في صورة دقيقة .

هذا ومن شهور السنة العربية أربعة أشهر سميت بالاشهر الحرم : ثلاثة منها سرد أي متواليات وهي ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ، وواحد فرد وهو رجب . وسميت بذلك لحرمة القتل والقتال فيها . وقد تقرر هذا النظام لدى العرب من قبل الاسلام بأمد طويل ، فكانت هذه الأشهر عندهم أشهر سلام وهدوء يتفرغون فيها لشئون معاشهم وتنمية مواردهم وشئونهم الأدبية والثقافية والدينية . والى هذا النظام يرجع أكبر قسط من الفضل فيما وصل اليه العرب من رقي وحضارة قبل الاسلام، بل يرجع اليه أكبر قسط من الفضل في بقاء الجنس العربي نفسه فقد كانت العلاقات بين قبائلهم وبطونهم علاقات متوترة تسودها الاحن والعداوات ، ولم تتوافر لدى أمة ما من أسباب التناحر والتقاتل والتطاحن مقدار ماتوافر لدى هذه الأمة في جاهليتها وما كان أكثر دواعي الحروب ومقتضياتها عندهم ، وكان يكفي أن تنشب حرب بين قبيلتين أو بطنين

لأتفه الأسباب حتى ينضم الى كلتيهما حلفاء وانصار من القبائل والبطون الأخرى ، وتظل الحرب مستعرة عدة سنين ، وتحصد آلافا من الفريقين المتنازعين . فلولا نظام الأشهر الحرم لا استأثرت هذه الحروب بجميع مظاهر نشاطهم واستغرقت جميع أيامهم ، ولوقف نموهم الاجتماعى والحضارى ، بل لفنى الجنس العربى نفسه .

هذا وقد جاء فى الآيات الأولى من سورة «براءة» ذكر لأربعة أشهر من سنة بالذات ووصفت بأنها أشهر حرم ، وهى غير الاشهر السابق ذكرها . ولم تكن حرمتها دائمة كحرمة تلك الاشهر ، بل كانت مقصورة على السنة لتى تتحدث عنها هذه الآيات . وذلك أنه كان بين الرسول عليه الصلاة والسلام وبين طوائف من مشركى العرب عهود مسالمة وأمان وعدم اعتداء ، فنكثوا بها الا بعض بطون من بنى ضمرة وبنى كنانة . فأمره الله تعالى بأن ينبذ العهد الى الناكثين مع امهالهم أربعة أشهر من يوم اعلانهم بنبذ العهد . وسميت هذه الأشهر فى الآيات التى نزلت فى هذا الشأن بالأشهر الحرم لجعلها شهور هدنة مؤقته بين الرسول عليه الصلاة والسلام والناكثين بعهودهم معه . وفى هذا يقول الله تعالى: «براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين . فسيحوا فى الأرض أربعة أشهر » (أى سيروا فى الأرض طلقاء آمنين مدة أربعة أشهر) « واعلموا أنكم غير معجزى الله وأن الله مخزى الكافرين . وأذان من الله ورسوله الى الناس يوم الحج الاكبر أن الله برىء من المشركين ورسوله. فان تبتم فهو خير لكم، وان توليتم فاعلموا أنكم غير معجزى الله ، وبشر الذين كفروا بعذاب اليم . الا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيئا ولم يظاهروا عليكم أحدا فأتموا اليهم عهدهم الى مدتهم ، ان الله يحب المتقين . فاذا انسلخ الأشهر الحرم » (أى الأشهر الأربعة المشار اليها فيما سبق فى قوله تعالى : « فسيحوا فى الأرض أربعة أشهر) « فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد ، فان تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم ، ان الله غفور رحيم » .

وروى أنه بعد أن نزلت سورة التوبة ارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم ابن عمه على بن أبى طالب رضى الله عنه على ناقته العضباء (اسم ناقة للرسول عليه السلام) من المدينة الى مكة ليقرأها على الناس فى موسم الحج فى منى، وكان ذلك فى السنة التاسعة من الهجرة . وكان الرسول قد بعث أبا بكر رضى الله عنه أميرا على الموسم . فقيل للرسول لو بعثت بها الى أبى بكر ليقرأها على الناس فقال « لا يؤدى عنى الا رجل منى » ، وفى بعض الروايات « لا ينبغى لأحد أن يبلغ هذا الا رجل من أهلى » . وذلك أنه قد كان من عادة العرب ألا يتولى ابرام العهد ولا نقضه على العشيرة الا رجل منها . فجرى الرسول عليه السلام على مقتضى هذ التقليد . وأبو بكر رضى لله عنه لم يكن من بنى هاشم رهط الرسول عليه السلام ، بل كان من بنى تيم ، وهى بطن آخر من بطون قريش . ولما دنا على رضى الله عنه سمع أبو بكر الرغاء ، وقال هذا رغاء ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم . فلما لحقه قال أمير أم مأمور ؟ أى هل أرسلك الرسول أميرا على الحج بدلا منى أم مأمورا بتبليغ رسالته ، قال بل مأمور . ثم قام على يوم النحر عند جمرة العقبة ، فقال أيها الناس انى رسول من رسول الله اليكم . فقالوا بماذا ؟ فقرأ عليهم ثلاثين أو أربعين آية من أول سورة التوبة . ثم بلغهم على لسان الرسول الا يقرب البيت بعد هذا مشرك ولا يطوف بالبيت عريان ، لأنهم كانوا يطوفون بالبيت فى الجاهلية وهم عرايا ويصفقون ويصخبون . والى هذا يشير الله تعالى اذ يقول : « وما كان صلاتهم عند البيت الا مكاء وتصدية » .

« د . على عبد الواحد وافى »

مزامير من الهجرة

دوى على طريقه التغيير
وانتفضت من كهفها العصور

***

وهب كل ساكن يثور
وللضياء انطلق العبور ..

***

وكل ريح غيرت مسارها
واضرمت فوق الهدوء نارها ..

***

وكل افق كان فى وساده
يلعق سحر الأمس من مهاده ..

***

انتفض النور على جبينه
فحرك الدهر على يمينه ..

***

ذوب وهم الذل من ذراته
وأحرق الاطراق من هالاته

***

ولملم البرق من الأثير
وأنبت الانسان فى الضمير ..

***

غيره من صاغر أواب
يرضع من أساه فى التراب ..

***

يريق للظالم من دموعه
عطر خريف راغ فى ربيعه...

ويلثم الاطواق فى السجود
كأنها تمائم الوجود ...

***

يهيل للنار خفايا ذاته
لتسكب الطهر على حياته ...

***

ويرتمى كغفلة الخطيئة
على صفاة الصنم البريئة ...

***

ويذبح الروح لها قربانا
يستل من رماده الأمانا ...

***

ويعزف النجم على عيونه
لحنا يصب الليل فى يقينه ...

***

ان مر فى خياله جبار
على شظايا طيفه ينهار ...

***

مد النفاق تحته رواقا
واسكر الشعور والأحداقا ...

***

أبى شغاف نفسه ، وجاء
ليلا يسوق ليله ضياء ...

***

يبنى من الطين على هبائه
آلهة خرساء فى فضائه ..

حادي التغيير..

الشاعر: محمود حسن إسماعيل

يزجى لها الصلاة والتعبدا
ويوعز الروح لها أن تسجدا..

***

يفهق في ضلاله للصنم
ويستجير بضحاه المظلم ...

***

ويغرس التوبة في ترابه
أخت عماء ساخ في ضبابه...

***

والشمس في احساسه والقمر
معابد غنى هواها الوتر ...

***

لا يعرف الله ، ولو مر به
خلد يفيء كل ما في قلبه ...

***

تقسمت عروقه أكوانا
وانشطرت وجوهه ألوانا ...

***

عبد يدور في غبار سيد
وساجد يحفن ذلا باليد ...

***

وامم ترعى بدين الغنم
لجت بها الاغلال أعتى الظلم...

***

أعيت خطاها كلمات الرسل
ومعجزات المرسلين الأول ...

وغاب وجه الله عن اعماقها
وزمزم الشيطان في احداقها..

***

تنعى بها موءودة .. ما سئلت
باى ذنب ، دون ذنب ، قتلت!

***

ويشتكيها جائع فقير
انفاسه بالوهم تستجير ...

***

وراسف في ظلمه يولول
والياس من أنينه يرتجل ...

***

ظلت على طغيانها تدور
والكون مشلول الخطا ضرير..

***

حتى أتاها مضرم التغيير
في ليلها الجاثي على الدهور...

***

شد خطاها في الدجى وسارا
في هجرة شقت لها النهارا ..

***

وشعشعت في دربها الضياء
وأترعت في قلبها السماء

***

أعني شعاع في ضمير الزمن
يهدى بنور الله كل مؤمن !!



المجتمع الإسلامي الأول بعد الهجرة

بقلم: محمد محمد المدني

لقد كان مجتمع « **يثرب** » قبل الهجرة مجتمعا يسوده الفتق والشجر ، والحسد والبغض والتربص : فقد كان مزيجا من قبيلتي الأوس والخزرج اللتين فرقت بينهما العداوات المستحكمة ، والحروب الطاحنة ، ومن اليهود الماكرين المتربصين بالعرب والاسلام ، الذين يدركون انه لا حياة لهم في عهود الاستقرار والطمأنينة ، فيعملون جاهدين على افساد ذات البين ، واحياء ذكريات السوء .

فلما كانت الهجرة حول الله هذا المجتمع من النقيض الى النقيض حتى اصبح هو المجتمع المثالى الذى تنشده الانسانية ، ويتحدث عنه الفلاسفة ، ويتواصفه اهل السياسة والحكم والاجتماع :

* أصبحت « يثرب » تسمى « بالمدينة المنورة » فابتعد عن هذا المجتمع ماض كريه من العداوة والبغضاء كانما كان هذا الاسم المتصل بمادة « التثريب » بمعنى اللوم والتعنيف ، مددا له ، وصلة قائمة بينه وبين الحاضر والمستقبل ، واشرق أمام أهله ذلك الاسم الجديد مؤذنا بعهد جديد ، فهو يتكون من كلمتين تؤلفان صفة تجرى على موصوف، فالموصوف هو « المدينة » ، والمدينة تعني الحضارة والنظام والاجتماع والتعاون وسيادة القانون ، ولفظها المعرف بالألف واللام يوحي بكمالها في معناها وكأنها هي الفرد الأكمل بين جميع المدائن ، يريد الله أن يكون هو المثال الذى يحتذى ، وتتخذ منه القدوة، ويرجع اليه فيما هو من أصول الاجتماع السليمة ، وقواعد السلوك المستقيمة ، ولقد كان لامام دار الهجرة مالك بن أنس رضى الله عنه فقهه البارع القائم على أصول منها هذا الأصل الذى كان يجعله دليلا من الأدلة حين يستشهد بعمل أهل المدينة ، فيراه عرفا صحيحا راشدا يفسر الأحكام ، ويعين على وجوه تطبيقها .

واذا كان هذا هو ايحاء لفظ « **المدينة** » مجردا قبل أن يوصف ، فان لوصفه بصفة مشتقة من « التنوير » ايحاء آخر له آثاره التوجيهية فى نفوس المؤمنين ، ذلك بأنها انما سميت بالمدينة المنورة حين شرفها الرسول الكريم ونورها بقدومه اليها ، واتخاذها قاعدة لدعوته ، ولقد وصفه القرآن الكريم بأنه « سراج منير » حيث يقول الله عز وجل « يأيها النبى انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا ، وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا » كما وصفه بانه نور وبأن الكتاب الذى جاء به نور : « قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين » « يأيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وأنزلنا اليكم نورا مبينا » « فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذى أنزل معه أولئك هم المفلحون » .

لهذا وذاك استقر فى نفوس أهل المدينة أنهم هم أصحاب المدينة الفاضلة الكاملة ، وأن مدينتهم هى التى شرفت بالنور المبين ، وتلقت برهان الرب العظيم ، فكان لهذا الاعتبار معنى نفسى قوى بين المعانى الكثيرة التى أفادوها ، واستقاموا على نهجها حتى صار مجتمعهم هو « **المجتمع المثالى** » .

* واصبحت العلاقة بين افراد هذا المجتمع هى علاقة المحبة والأخوة التى تعرف « الايثار » ولا تعرف « الاثرة » .

وقد مدح الله سبحانه وتعالى جماعة الأنصار بقوله :

« والذين تبوءوا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ، ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون » .

فكان هذا المدح الالهى ، أو الوسام الشرفى الأعلى الذى منحهم الله اياه ، هو أنهم « يحبون من هاجر

اليهم » – أى أن مجتمعهم المكون من أفراد تبوءوا الدار – أى سكنوا المدينة – وتبوءوا الايمان ، فكأنهم سكنوه كما يسكن الوطن ، وتمكنوا منه كما يتمكن المرء من داره وقراره – هذا المجتمع المكون من هؤلاء الأفراد المؤمنين هو مجتمع يفيض بالحب ، ويتصرف أفراده على أساس الحب ، فيرحب بهؤلاء القادمين من المهاجرين اخوان المبدأ واصدقاء الفكرة ، والعقيدة، والدعوة ، ترحيبا قويا مخلصا ، ثم أتبع الله جل جلاله هذا الوصف الأساسى بثمرتيه الدانيتين ٠

احداهما : صفاء النفوس والصدور ، لا من الحقد والحسد فحسب ، ولكن من أى حاجة من الحاجات التى تخالج النفوس والصدور عادة ، كالنظر الى ما أوتى هؤلاء المهاجرون من مال ومعـونة ، أو التفكير فى أن ذلك منة عليهم ، أو استكثاره ، أو نحو ذلك، فما أبرع قوله تعالى تعبيرا عن صفائهم الكامل الشامل : « ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا » – والثمرة الثانية الدانية من ثمرات هذا الحب هى ما وصفهم الله به من قوله : « ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة » – اى ولو كان بهم فقر ملح ، وحاجة ماسة الى ما أعطوا – فالايثار لايمكن أن ينبع الا عن المحبة ، المحبة التى تجعل الاب يجود بما فى يده لابنه وفلذة كبده ، المحبة التى تجعل الام تمنح طفلها ورضيعها – مع الحنان والرحمة – ذلك اللبن الخالص السائغ الذى هو فيض من دمائها ، وشطر من غذائها ، المحبة التى تجعل المحب يتلذذ بما يأخذه منه حبيبه ، ولا يحس بأنه قد فعل شيئا ، أو ضحى بشىء ، ولو كان هو نفسه محتاجا الى ذلك الشىء ، وبه خصاصة وفقر اليه ٠

اذا وصل الامر الى الايثار على هذا النحو المنبعث عن الحب ، فقد تطهرت النفوس من أبشع خلق من اخلاق اللؤم ، وهو الشح الذى يتلخص معناه فى كراهية النعمة ينعم الله بها ، سواء أكانت على يد هذا الشحيح أم على يد غيره – اذا تطهر المجتمع من هذا الخلق ، استقرت النفوس ، واطمأنت القلوب ، وانتشرت فى المجتمع ريح رخاء من التعاون والمودة والتكافل ، لا يفسدها طمع ولا جشع ، ولا بغض ولا حسد ، ولذلك يختم الله هـذه الآية الكريمة بذكر سنة الهية ، وقاعدة ذهبية ، وقانون لايتخلف ولا يتبدل ، اذ يقول « ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون » ٠

ان هذا المعنى الذى يتجلى فى هذا الوصـف الالهى للمجتمع المثالى الأول ، مجتمع المدينة ، حيث التقى المهاجرون والأنصار لاول مرة على حماية دعوة الحق ، والاستظلال براية القرآن ، والاهتداء بهدى من أنزل عليه القرآن – ان هذا المعنى ليوحى الينا برغبة الاسلام القوية فى أن تقوم العلاقة بين الناس على أساس المحبة ، بل انه ليغرى المجتمعات بذلك اغراء ، حيث يسوقه مدحا الهيا لأهل ذلك المجتمع الأول ، وحيث يجعله الوسيلة الوحيدة للفلاح على سبيل الحصر ٠

وان التاريخ الاسلامى ليتحدث عن هذه العـاطفة الصادقة التى كانت تسود المجتمع الأول ، ويحتفظ بصور عجيبة لهذا الحب ، ولهذا الايثار ، فقد كان المهاجر المكى ينزل فى بيت الانصارى المدنى،فيطعمه أحسن مايطعم هو واهله ، ويقاسمه عقاره وثمار نخله وكل ما لديه من مال ومتاع ، ويعمل على تزويجه ان رغب فى الزواج ، ولما غنم رسول الله صلى الله عليه وسلم أموال بنى النضير من اليهود ، دعـا الأنصار وشكرهم فيما صنعوا من المهاجرين من انزالهم اياهم فى منازلهم واشراكهم فى أموالهم ، ثم قال لهم : « ان أحببتم قسمت ما أفاء الله على من بنى النضير بينكم وبين المهاجرين ، وكانوا على ماهم عليه من السكنى فى مساكنكم واموالكم ، وان أحببتم اعطيتهم وخرجوا من دياركم » فقال سعد بن عباده، وسعد بن معاذ ، الأنصاريان : بل نقسمه بين المهاجرين ويكونون فى دورنا كما كانوا ، – اى أنهم تنازلوا للمهاجرين عن نصيبهم فى الغنيمة مع احتفاظهم لهم بمقامهم فى ديارهم وأموالهم ، دون أن يتحولوا عنها وقد أغناهم الله ، وبذلك نادى كل الأنصار قائلين : رضينا وسلمنا يارسول الله ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اللهم ارحم الانصار ، وأبناء الانصار ! » ٠

وما أشبه مايقوله الشاعر القديم فى معنى كهذا بما فعله الانصار مع المهاجرين :

جزى الله عنا جعفرا حين أزلقت
بنا نعلنا فى الواطئين فزلت
أبوا أن يملونا ، ولو أن أمنا
تلاقى الذى لاقوه منا لملت
هم خلطونا بالنفوس وألجأوا
الى حجرات أدفأت وأظلت

● ومن أمثلة الايثار الذى كان يسود مجتمع المدينة،والذى ينطبق عليه وصف الله تعالى لأصحاب

هذا المجتمع بقوله « ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة » :

ـ مارواه القشيري عن ابن عمر قال :اهدى لرجل من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم رأس شاة فقال : ان اخي فلانا وعياله أحوج الى هذا منا ، فبعثه اليهم ، فقالوا هم ايضا مثل قوله فبعثوا بها الى أهل بيت آخر ، فلم يزل يبعث بها واحد الى آخر حتى تداولها سبعة أبيات ، ورجعت الى البيت الأول ٠

ـ وما رواه محمد بن مطرف : ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه أخذ اربعمائة دينار فجعلها في صرة ثم قال لغـــلامه : اذهب الى أبي عبيدة بن الجراح فذهب بها اليه فقال : يقول لك أمير المؤمنين : اجعل هذا في بعض حاجتك ، فقال : وصله الله ورحمه ،ثم قال : تعالي ياجارية : اذهبي بهذه السبعة الى فلان ، وبهذه الخمسة الى فلان ، حتى أنفدهـــا ! ، فرجع الغلام الى عمر فاخبره فوجده قد أعد مثلها لمعاذ بن جبل ، فقال : اذهب بهذا الى معاذ بن جبل فانظر ماذا يصنع ، فذهب بها اليـــه ، فقـــال : يقول لك امير المؤمنين : اجعل هذه في بعض حاجتك فقـــال : رحمـــه الله ووصـــله ، وقال : يا جـــارية ٠ اذهبي الى بيت فلان بكذا ، وبيت فلان بكذا،فاطلعت امرأة معاذ فقالت : ونحن والله مساكين فاعطنا ، ولم يبق في الصرة الا ديناران فاعطاهما زوجته ، فرجع الغلام الى عمر فاخبره فسر بذلك وقال : انهم اخوة بعضهم من بعض !

● واذا كان خلق الايثار قد ظلل هذا المجتمـــع بظلال وارفة من الرحمة والمودة ، فلقد كان المهاجرون ذوي عفة وقصد ، ولم يكن أحد منهم بالذي يغـــريه كرم الأنصار فيدفعه الى الجشع والطمع ٠

ـ فقد روى مسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما فرغ من قتال أهـــل خيبر وانصرف الى المدينة رد المهاجرون الى الأنصار منائحهم التي كانوا منحوهم من ثمارهم ٠

ـ وروى أهل السيرة انسعد بنالربيعالأنصاري، عرض على عبد الرحمن بن عوف المكي أن يشاطره ماله ـ وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قـــد آخى بينهما ـ فأبى عبد الرحمن وطلب اليه أن يدله على السوق ، وفيها بدأ يتجر حتى أصبح بعد زمن ليس بالبعيد ذا غنى ويسار ٠

ـ ورووا أيضا : أن جماعة منهم ابو بكر ،وعمر، وعلي ، وغيرهم ، عملت أسرهم في الزراعة في أراضي الأنصار مزارعة مع ملاكها ،وكانوا يأبون أن يعيشوا كلا على غيرهم ٠

واذن : فالايثار من الأنصار لم يقابل بالجشـــع والاستنزاف من المهاجرين ، ولا بالتراخي عن العمل، واستمراء حياة الكسل،ولا بروح الانتهازية الدنيئة، ولكنه قوبل بالشكر والقناعة والاقبال على العمل ، والسعي ، التماســـا للغنى والقـــدرة على الوفاء بالحقوق ٠

وهكذا كانت نفوسهم متجاوبة ، وعواطفهـــم صادقة غير مصطنعة ، ومجتمعهم صورة صحيحة لما نسميه « **باشتراكية الاسلام** »

● أما الاخاء ، فهذا هو رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يعقد أواصره بين المهاجرين والأنصار ، وبين المهاجرين بعضهم وبعض ، والانصار بعضهم وبعض، على نحو بارع عجزت عن مثله أعظم السياسات في مختلف العهود والنظم :

فقد روى مؤرخو السيرة النبوية العطـــرة : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لما قدم المدينة دعا المسلمين ليتآخوا في الله أخوين أخوين ، فكان هو وعلي بن أبي طالب أخوين ، وكان عمه حمزة ومولاه زيد أخوين ، وكان ابو بكر وخارجة بن زيد ،أخوين، وكان عمر بن الخطاب وعتبان بن مالك الخـــزرجي اخوين ، وكان عبد الرحمن بن عوف ، وسعـــد بن الربيع أخوين ، وتآخى كذلك كل واحد من المهاجرين الذين كثر عددهم بالمدينة مع واحد من الانصار ٠

وقد كان هذا الاخاء ســـبيلا الى خير كثير ، والى وحدة واستقرار في مجتمع المدينـــة ، والى تقارب فكري بين المكيين والمدنيين ، والى تعـاون على البر والتقوى في ظل تعاليم الاســـلام ، والى انكماش اليهود الذين كانوا بالمدينة وضواحيها ، وعجزهم عن الايقاع بالفتنة والنميمة بين المهاجرين والانصار، أو بين الانصار اوسهم وخزرجهم ، اذ كان مما حققه هذا الاخاء نوع من أنواع الرقابة والحيطة على اليهود، والحذر من فتنتهم وكيدهم ٠

● لقد عاش المسلمون في ظل هـــذا الاخـاء ، وتلك المحبة ؛ على أتم ما تكون المجتمعات الراقيـــة صفاء ، وهدوءا وتعاونا وتعاطفا ٠

وكان اليهود عز عليهم ذلك ،فحاولوا أن يفسدوا هذه الأخوة ، وان يعكروا صفو تلك المحبـــة ، وان يذكروا كلا من الاوس والخزرج بما كان من خلاف بينهم وحروب قبل الاسلام ، ولكن قائد المسلمين الأعظم رسول الله صلى الله عليه وســـلم كان لهم بالمرصاد ، يسهر على وحدة المسلمين ويدرأ عنهم كيد الكائدين ، بفضل الله ورحمته ، ويأخذ اليهود بما كسبت أيديهم من التدبير والتآمر حتى أجلاهم وطهر أرض المدينـــة وما حولها منهم ، والعاقبـــة للمتقين ٠

« **محمد محمد المدني** »

الهجرة إيمانٌ وتنظيم

بقلم .. عبد العزيز كامل

عروبة الهجرة :

كانت هجرة الصحابة رضوان الله عليهم الى الحبشة سابقة للهجرة العامة الى المدينة مع اختلاف فى خصائص كل من الهجرتين ٠

وقد سبق هذه الهجرات ايذاء شديد لحق المسلمين ، تحملوه بايمان راسخ وتنوعت طرق التهديد والايذاء ، وكان الكفار يحاربون التاجر المسلم فى تجارته ٠ وان كان الرجل ضعيفا عدوا عليه بالضرب والتجويع والتعطيش حتى مايقدر ان يستوى جالسا من شدة الضر ٠ ويروى البخارى ان خبابا (رضى الله عنه) قال : أتيت النبى (ص) وهو متوسد ببردة وهو فى ظل الكعبة ، وقد لقينا من المشركين شدة ، فقلت ألا تدعو الله ؟ فقعد وهو محمر الوجه ، فقال « قد كان من كان من قبلكم ليمشط بأمشاط الحديد ما دون عظامه من لحم وعصب ما يصرفه ذلك عن دينه ، ويوضع المنشار على مفرق رأسه فيشق باثنتين ما يصرفه ذلك عن دينه ، وليتمن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء الى حضرموت مايخاف الا الله عز وجل ، والذئب على غنمه ، ولكنكم تستعجلون » ٠

وزاد الايذاء ٠ والرسول لا يقدر على أن يمنع أصحابه مما هم فيه من البلاء ، فقال لهم « لو خرجتم الى أرض الحبشة ، فان بها ملكا لا يظلم عنده أحد ،



وهى ارض صدق ، حتى يجعل الله لكم فرجا مما أنتم فيه » ٠ فهاجر الصحابة اليها هجرتين ٠

والذى يستوقف النظر فى هذا الحديث الشريف أن الرسول دعا أصحابه الى الهجرة الى الحبشة ولكنه جعلها هجرة مؤقتة ، بدليل قوله « حتى يجعل الله لكم فرجا مما أنتم فيه » ٠ وهى بهذا لم تكن هجرة استقرار لنشر الاسلام واتخاذ الحبشة منطلقا للدين الجديد ، وانما كانت « هجرة ايواء » حتى يستطيع الاسلام أن يجد له قاعدة فى الجزيرة العربية نفسها ٠

يدلنا على هذا أن النبى (ص) بعد وفاة خديجة وعمه أبى طالب وما أصابه وأصحابه من ارهاق وعنت بعد أن انتهى ما فرضته قريش من حصار اقتصادى واجتماعى ، خرج الى ثقيف ـ فى الطائف ـ يطلب نصرتها فردته ردا غير جميل ٠ واغرت به عبيدها وسفهاءها يسبونه ويصيحون به ويرضخونه بالحجارة

حتى أدموه ، وخلص منهم ورجلاه تسيلان دما ٠٠ ثم أخذ يعرض نفســه على أحياء العـرب ، فى موسم الحج ليؤمنوا بالله ويصدقوا بالرسول ويمنعوه حتى يبين ما بعثه به الله ٠ وتحمل النبى (ص) فى هــذه المرحلة أذى بليغا ، ولكنه مع هذا كله كان لا يهن ولا ينى عن عرض نفسه على القبائل ٠

وكتب السيرة مليئة بالحوار الذى كان يدور حول الشروط التى تشترطها القبائل لنصرة النبى ٠ كان منهم من يريد أن يكون له الأمر بعــد الانتصار ، ويرون الدين صـفقة ٠ فما يكون من النبى الا أن يقول : الأمر لله يضعه حيث يشاء ٠ ومنهم من تشكك فى الأمر قائلا : قوم الرجل أعلم به ، أترون أن رجلا يصلحنا وقد أفسد قومه ولفظوه ؟!٠

فهناك اذن اصرار من النبى (ص) على ابلاغ دعوته وعرضها على القبائل حتى يجد القوم الذين يقبلون ان تكون أرضهم منطلقا للاسلام ، ورجالهم الرعيل الصادق الذى يحمل مع النبى أمانة هــذا الدين ٠ ويسر الله هذا الأمر لرسوله حين استجاب الخزرج له عند العقبة فى موسم الحج قائلين : انا قد تركنا قومنا ولا قوم بينهم من العداوة والشر ما بينهم ، وعسى أن يجمعهم الله بك فسنقدم عليهم فندعوهم الى أمرك ونعرض عليهم الذى أجبناك اليه من هذا الدين ، فان يجمعهم الله عليك فلا رجل أعز منك ، ثم انصرفوا عائدين الى يثرب قد آمنوا وصدقوا ٠

وبهذا استطاع الاسلام أن يجد « **قاعدة عربية** » لينتشر منهــا ، وكانت الهجرة داخلية فى الجزيرة العربية ، ومن هنا تميزت تميزا واضحا عن الهجرة الخارجية الى الحبشة : تميزت فى المكان كما تميزت فى الهدف ٠

ولقد حدد الرسول (ص) الهدف من الهجرة فى بيعة العقبة الثانية حين خاطب الأنصار قائلا : «أسالكم لـربى أن تعبدوه ولا تشركوا به شــيئا ، وأسالكم لنفسى واصحابى أن تؤوونا وتنصرونا وتمنعونا مما تمنعون منه أنفسكم ٠ وبين الرســول منزلة دار الهجرة حين ساله الأنصار قائلين : « ان بيننا وبين الرجال (يعنون اليهود) حبالا نحن قاطعوها ، فهل عسيت ان فعلنا ذلك ثم أظهرك الله أن ترجع الى قومك وتدعنا ؟ » فقال الرســول (ص) : « بل الدم الدم والهدم والهـدم ٠ أنا منكم وأنتم منى ٠ أحارب من حاربتم وأسالم من سالمتم » ٠٠ يقصد بذلك ــ كما يقول ابن الاثير فى النهاية فى غريب الحديث والأثر ــ ان من طلب دمكم فقد طلب دمى ، ومن أهدر دمكم فقد أهدر دمى لاستحكام الألفة بيننا ٠ وهو معنى حديثه الآخر « المحيا محياكم والممات مماتكم (٤: ٢٤٢ ، ٢٤٣) ٠

ومن هنا يتضح الفرق الكبير بين اتخاذ المدينــة قاعدة للاسلام وبين الهجرة الى الحبشـة التى كانت محددة بهدف موقوت ، حتى يجعل الله لـكم فرجا مما أنتم فيه ٠ والذى يهمنا تسجيله الآن أن الحبشة مع وقوعها فى شرق افريقية وقربها من مهد الاسلام وغناها النسبى ، لم تكن فى عصورها التاريخيــة منطقــة انطلاق فى افريقيــة ، وانما كانت ــ فى الغالب ــ منطقة انزواء وعزلة ولم تستطع أن تسيطر حتى على السهول الساحلية التى تقع الى شرقها أو تتوسع فى الغرب والشـمال الغربى ٠ أما الجنوب فلم يكن هناك ما يدفع الاحباش الى التوسع فيه لوجود نطاق جاف نسبيا تليه منطقة هضبة شرق افريقيــة المرتفعة ٠ ويعلق سير وليام ميور على احتمال هجرة الرسول (ص) الى الحبشــة بقوله : « لو لم يتوفر للاسلام مهـاجر فى المدينة لربما هـاجر النبى الى الحبشة ٠ وهنا كان من المنتظر ان ينزوى الاسلام ، ويتحــول الى مذهب مسيحى قصــير العمر مآله الانقراض » ٠ وليس من الممكن أن نحكم على مصـير الاسلام لو لجا النبى الى الحبشة بنفسه ٠ ولـكن لو تخيلنا هذا لتسابقت عدة أسئلة الى الذهن : من يحفظ القرآن العربى ؟ وما عدد هؤلاء الحفظة ؟ وما مصير الدين بلغته العربية فى البيئة الحبشية فى هذه المرحلة الأولى من مراحل نموه؟ والى أى مدى سيسمح أهل البلاد لهذا الدين الجديد اللاجىء أن ينمو ؟ وما موقف الرومان من الحبشة حين يعلمون أن فيها دينا عالمى الانتشار آوى اليها ؟ وهل يستطيع الاسلام أن يتخذ من الحبشة ــ وقتئذ ــ وهى مناطق مزقتهــا الأنهار الى بيئات منعزلة ــ قاعدة متماسكة ؟

أليس من الأقرب الى الذهن أن يتابع الاســلام نموه فى مهــده الأول الذى اختاره له الله ، ويتنزل القرآن العربى فى أرض العرب ، ثم يخرج دعاته بعد

هذا ليدخلوا أفريقية من أوسع أبوابها وأقواها ، ويتخذوا من مصر قاعدة انطلاق فى أفريقية ؟

ليس من الممكن ان نحكم على مالم يحدث لسبب بسيط ، هو أنه لم يحدث . ولا نريد أن يجمح بنا الخيال لنتصور تاريخا ونبنى عليه نتائج . والذى يعنينا ويستوقف أنظارنا ، أن النبى بقى فى هذه البيئة العربية لتكون قاعدة الاسلام ، وأن الهجرة اذا كانت من مكة الى المدينة فقد كانت داخل الجزيرة العربية .

نماذج مؤمنة :

ولم تكن مكة بالوطن الذى لا يعتز به أهله ولا الذى يتركونه فى سهولة ويسر . فلقد أحبها النبى (ص) وأحبها أصحابه . وكانوا يتغنون بها بعد هجرتهم الى المدينة ، يذكرون محاسنها ومنزلتها . ولكن داعى الايمان حين دعاهم تركوا هذا كله امتثالا لامر الله ورغبة فيما عنده .

ولقد جمع الاسلام فى مكة بين المؤمنين واستجابت له الشعوب المؤمنة : كان فيهم التاجر الغنى كأبى بكر الصديق وعبد الرحمن بن عوف وكان فيهم المستضعفون كآل ياسر . وكان فيهم من الروم كصهيب ، ومن الحبش كبلال ، كان منهم الكهول والشباب والنساء والفتيات .. رضى الله عنهم أجمعين .

ولا نستطيع أن نجد رباطا يجمع بين هذه القلوب على اختلاف ألوانها وقدراتها الاقتصادية والاجتماعية غير رباط الايمان ..

ويحفظ لنا تاريخنا الاسلامى روائع من قوم رغبوا فيما عند الله فلم تفتنهم زهرة الدنيا ، وجعلوا مادة الحياة قربة الى ربهم ..

فصهيب الرومى حين أراد الهجرة من مكة الى المدينة قال له كفار قريش : « اتيتنا صعلوكا حقيرا فكثر مالك عندنا وبلغت الذى بلغت ، ثم تريد أن تخرج بمالك ونفسك والله لايكون ذلك ..

فقال لهم صهيب « أرأيتم ان جعلت لكم مالى أتخلون سبيلى ؟ » .

قالوا : « نعم » .

قال « فانى قد جعلت لكم مالى »

فبلغ ذلك رسول الله (ص) فقال « ربح صهيب، ربح صهيب »

والقصة لاتحتاج الى تعليق : موقف وقفه صهيب رضى الله عنه ليختار بين المال الذى جمعه من كده وعرق جبينه وبين الخروج بدينه الى المدينة ، فاختار الدين وترك المال ليذهب ويساهم فى انشاء المجتمع الجديد .

وتعطينا ام سلمة رضى الله عنها نموذجا كان الصراع فيه بين الايمان والعاطفة ، لا بين الايمان والمال ، كما رأينا فى قصة صهيب – فعندما عزم أبو سلمة على الخروج الى المدينة رحل لها بعيره وحملها عليه وجعل معها ابنها سلمة فى حجرها ، ثم خرج يقود بها بعيره . فلما رأته رجال من بنى المغيرة قاموا اليه فقالوا : هذه نفسك غلبتنا عليها ، أرايت صاحبتنا هذه علام نتركك تسير بها فى البلاد ؟

قالت أم سلمة : فنزعوا خطام البعير من يده وأخذونى منه ، قالت : وغضب عند ذلك بنو عبد الاسد رهط ابى سلمة وقالوا « والله لانترك ابننا عندها اذ نزعتموها من صاحبنا » فتجاذبوا سلمة الصغير بينهم حتى خلعوا يده وانطلق به بنو عبد الاسد وحبسنى بنو المغيرة عندهم وانطلق زوجى أبو سلمة الى المدينة . قالت « ففرق بينى وبين ابنى وبين زوجى » وكانت أم سلمة تخرج كل غداة فتجلس فى الأبطح فما تزال تبكى حتى تمسى . ومرت على هذا سنة أو قريبا منها . حتى رق لها قلب رجل من بنى عمها – أحد بنى المغيرة – ورحمها وذهب الى القوم قائلا «ألا تخرجون من هذه المسكينة؟ فرقتم بينها وبين زوجها وبين ولدها ! قالت : فقالوا لى : الحقى بزوجك ان شئت . ورد بنو عبد الأسد اليها عند ذلك ابنها . وهاجرت أم سلمة مع ولدها الى المدينة .

ومما تحفظه لنا كتب السيرة فى هذا الموقف أن أم سلمة عندما خرجت بولدها مهاجرة الى الله ورسوله وأدركت التنعيم بظاهر مكة لقيت عثمان ابن طلحة أخا بنى عبد الدار وكان مشركا فصحبها حتى أوفى على قباء قرب المدينة وقال لها « هذا زوجك فى هذه القرية » ثم انصرف راجعا الى مكة . وتصف أم سلمة كيف أكرمها عثمان فى هذه الصحبة ، وكيف حافظ على أكرم التقاليد العربية

فى رعاية سيدة مهاجرة من حياء ورعاية حتى كانت تقول : ما رأيت صاحبا قط كان أكرم من عثمان بن ابى طلحة ،

من هذه النماذج تبدو لنا طبيعة الهجرة : هجرة الى الله ورسوله ليس لها من دافع الا الايمان والامتثال لامر الله تعالى والسعى لايجاد موطن يستطيع فيه الاسلام أن يرفع أعلامه وينشر أنواره ويهدى الناس الى الحق ٠

تنظيم الهجرة :

وأعد النبى (ص) نظام هجرته وشمل هذا التنظيم عدة أمور :

١ ـ **الصحبة :** وكان رفيقه فى رحلته ابا بكر رضى الله عنه ٠

٢ ـ **الخروج من المنزل :** وكان ذهابه الى بيت أبى بكر وقت الهاجرة ولم يكن من عادته ان يذهب الى بيته فى هذا الوقت ٠ وهناك أخبره أن الله قد اذن له فى الهجرة بعد أن هاجر معظم اصحابه وأن ابابكر رفيقه فى هذه الهجرة ٠

٣ ـ **الاتجاه :** ولم يخرج الرسول (ص) من مكة متخذا الطريق المباشر الى الشام من عوالى مكة ، وانما اتخذ أولا طريق اليمن من مسفلة مكة ومن هناك اختبأ فى غار ثور ثلاث ليال حتى خف عنه الطلب ٠

٤ ـ **تنظيم وصول الاخبار اليه فى الغار :** وكان يقوم بذلك عبد الله بن ابى بكر ، يقضى ليله مع الرسول وأبى بكر فى الغار وعند الفجر ينزل مكة ، فيظنه القوم وقد أمضى ليله بها ، فلا يسمع أمرا عن النبى (ص) وأبى بكر الا وعاه حتى يأتيهما بخبر ذلك حين يختلط الظلام ٠

٥ ـ **الطعام واخفاء الآثار :** وكانت أسماء بنت أبى بكر تأتيهما بالطعام وعامر بن فهيرة يرعى عليهما غنما حين يذهب ساعة من العشاء ٠ وكانت الغنم تعفى على الآثار التى يتركها سير أسماء وعبد الله ابنى أبى بكر ٠

٦ ـ **رد الودائع :** وقام بهذا على بن ابى طالب فقد نام فى فراش النبى (ص) وتسجى ببرده فظنه الكفار الرسول نائما ٠ وكانوا قد أجمعوا على قتله وجمعوا لذلك أربعين شابا يمثلون القبائل ليتفرق دم النبى فيها فلا تستطيع عبد مناف ان تقاتلهم جميعا وترضى منهم بالعقل ٠٠ وكان من الحكمة أن تظل الودائع عند الرسول لئلا يدرك قومه استعداده للسفر ٠ وقام بهذا على رضى الله عنه ثم لحق بالنبى مهاجرا وقطع الطريق على قدميه فى أسبوعين فلم يدرك المدينة الا وقد تمزقت أقدامه من صخور الطريق ٠

٧ ـ **اتخاذ الطريق غير المألوف :** وحتى بعد أن خف الطلب عن رسول الله (ص) ووصل بعض رجال من قريش الى الغار ولم يروا النبى وصاحبه ، خرج النبى وابو بكر على راحلتين معدتين من قبل لهذا الغرض يقودهما دليل ماهر ورافقهم عامر بن فهيرة ٠ وسلك الدليل طرقا غير مألوفة حتى وصل الى المدينة ٠

يبدو من هذا أن النبى (ص) أعد لأمر الهجرة عدته ونظم أمره ولم يترك فيه شيئا دون تنظيم ٠ وبهذا تمثل فى الهجرة جانبان لا تقوم الحياة الا بهما وهما الايمان والتنظيم العملى الذى يعبر عن الايمان تعبيرا صادقا ، ويحول العقيدة الى صورة حية يتمثل فيها الوعى الصادق بأهداف الاسلام والطرق السليمة لتحقيق هذه الاهداف ٠

د ٠ عبد العزيز كامل

الهجرة

أسبابها ونتائجها



بقلم: حامد عبد القادر

لقد كانت هجرة الرسول الكريم محمد بن عبد الله من مكة الى المدينة أبرز مظهر من مظاهر قوة ارادته ، وصدق عزيمته وشدة تمسكه بالمثل العليا والمبادىء السامية .

وان من يقرأ سيرة هذا الرسول العظيم ويدرس حياته في دقة وتبصر يجزم بانه كان قوى الشخصية ، وبأن قوة شخصيته قد تجلت في قوة ارادته وصدق عزيمته ، ويدرك أن التمسك بالحق والاستماتة في الدفاع عنه ، والتضحية في سبيل نصرته – في مقدمة المثل العليا التي آمن بها ذلك الانسان الكامل منذ صباه ، وظلت مسيطرة على سلوكه طول حياته .

ان هذا المبدأ هو الذي جعل محمدا الصبي يمقت الوثنية الباطلة ويستنكر عبادة الاصنام على تنوع ضروبها واختلاف أنواعها . فما قيمة صنم يصنعه المرء ويقيمه بيديه ثم يعبده من دون الله ، أو مع الله أو يقدم له القرابين ويتقرب اليه بالدعوات والصلوات ؟ ان هذا لهو الضلال المبين ، الذي لا سند له الا الجهالة العمياء ، ولا مبرر له الا العناد والكبرياء . وكل ذلك ليس من الحق في شيء .

وان هذا المبدأ نفسه هو الذي حمل محمدا الرجل على ان يعتزل الناس ووثنيتهم ، ويترك ما كانوا فيه من ضلال وبهتان ، ويخلو بنفسه في مكان قصي بعيد عن صخب الحياة وضجيجها ، ليناجي ربه ، ويستلهمه الهداية ويستوحيه الرشاد .

وان هذا المبدأ هو ذاته الذي جعل محمدا النبي يصدع بأمر الله فيدعو الناس في اصرار وقوة الى توحيد الله تعالى ، ونبذ عبادة الاصنام غير هياب ولا وجل ، على الرغم من معارضة المشركين من صناديد قريش وذوي الرأي فيهم ، وكانت دعوة قوية في حزم ، صادقة في عزم ، مخلصة في ايمان ، لم يزعزعها وعد ولا وعيد ، ولم يزحزحها اغراء ولا تهديد .

وان هذا المبدأ عينه هو الذي جعل الرسول السمح الكريم يصبر على الشدائد ، ويتحمل المتاعب ، ويسير في طريق الدعوة الى الاسلام غير مكترث بما كان يرى ، ولا يعتد بما كان يسمع ، لقد رأى كثيرا من أنواع السخرية والاستهزاء وسمع كثيرا من الفاظ السب والشتم ، فصبر واحتمل ، وصابر وثابر ، ولم يجاوز حدود الاتزان والرزانة ، بل كان يلجأ الى الله تعالى ويقول : « اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون » .

وقد لقي الرسول واتباعه من اصناف التعذيب ، وألوان التعنيف والتقريع مالا قبل لهم به ، لولا اتقداؤهم بالرسول في قوة ايمانه ، وصدق عزيمته وشدة استمساكه بمبادئه القويمة .

ولقد كان ذلك المبدأ هو الذي جعل الرسول يرد على عمه أبي طالب – حين طلب اليه أن يوقف حملته على قريش ومعبوداتهم – فيقول له قولته الخالدة : « والله يا عم لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الامر ما تركته حتى يظهره الله أو أهلك دونه » .

ثم ان هذا المبدأ هو نفسه الذي دعا الرسول الى محاجة أهل الكتاب وغيرهم من المشركين وقرع حججهم الباطلة بحجة الحق الواضحة الملجمة .

لقد حاجوه فحاجهم حتى غلبهم ، وجادلوه فجادلهم حتى أفحمهم ، متبعا في ذلك قول ربه : ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن .

نعم لقد حدث كل هذا وغيره مما لا يتسع المقام لذكره من سيرة رسول الله محمد بن عبد الله ، وكان ذلك الرسول المؤيد المظفر في جميع مواقفه كالطود الأشم ، الثابت الأركان ، المتين البنيان ، لا يتزحزح عن مبادئه قيد انملة ، لم يضطرب ولم يتلعثم ، بل كان حاضر البديهة ، سليم التفكير ، جيد التعبير ، يدافع عن مبادئه بكل ما آتاه الله من وضوح بيان ، وثبات جنان ، وقوة ايمان ، وثقة بنفسه ، واعتماد على ربه .

وكان الوحي يتنزل عليه من الله تعالى يرشده ويهديه ، ويثبت فؤاده ويسليه ، ويشجعه على السير في طريقه واثقا من نصر ربه ولو كره الكافرون .

واخيرا بلغ السيل الزبى ، وجاوز الظالمون المدى ، واشتد الصراع بين الحق والباطل ، واحتدم النزاع بين الخير والشر ، وكادت نار الحرب أن تشتعل بين المسلمين والمشركين . وبدا نور الحق وكأنه يقوى شيئا فشيئا ، وبدت شوكة الباطل وكأنها تضعف رويدا رويدا . وكان المسلمين اخذوا يتساءلون : متى يذهب نور الحق بظلمات الباطل ؟ ومتى يقطع الخير دابر الشر ؟ ومتى نصر الله الذي وعد به عباده المؤمنين . وكان ملائكة الله تطل على المؤمنين من أعلى عليين ، وترد عليهم قائلين : الا ان نصر

الله قريب » فقد « كتب الله لأغلبن أنا ورسلي » وقال : « بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق » .

لقد جاهد الرسول الكريم في سبيل الله حق جهاده ثلاث عشرة سنة في مكة ، ولم يظفر بما يرضيه من نشر الاسلام ، واعلاء كلمة الحق كلمة الله . ان أمرا لا بد أن يتم لحل المشكلة، وتحقيق الأماني التي يحرص الرسول والمسلمون على تحقيقها . ولا يمكن أن تتحقق تلك الاماني الا اذا بقيت الدعوة الى الاسلام حية نشيطة ، ولا سبيل الى حياتها ونشاطها الا بانقاذ الرسول والمسلمين من كيد الكفار ، وتهيئة بيئة أخرى لهم يمارسون فيها أعمالهم في حرية وانطلاق .

وقد أراد الله سبحانه أن يهيىء للمسلمين تلك البيئة الجديدة ، وانه عزوجل اذا أراد شيئا هيأ له الأسباب ، وقد اقتضت حكمته البالغة أن تكون يثرب مهجرا للرسول والمسلمين. ولعل السر في اختيار يثرب دون غيرها لهذا الغرض انها قريبة من مكة ، وأن بني النجار أخوال الرسول كانوا يقيمون بها ، وأن فريقا من اليهــود كانوا يسكنونها وهم من أهــل الكتاب المؤمنين بوحدانية الله ، وأن دعوة الرسول الى الاسلام كانت قد وصلت الى المدينة وشاع فيها أمرها ، وحدث مايشبه التنافس بين اليهود من ناحية والأوس والخزرج من ناحية أخرى في التقرب الى صاحب الدعوة الجديدة ، والاسراع الى اعتناق الدين الجديد ، المبشر به في التوراة والانجيل .

ولم تكن هجرة الرسول والمسلمين الى يثرب أمرا فجائيا ، بل انه قد سبقها التمهيد لها كي تكون هجرة سعيدة تأتي بالخير للمهاجرين . ذلك انه سبحانه الهم فريقا من أهل يثرب حجاج بيت الله الحرام بمكة أن يحسنوا استقبال الرسول حين قابلهم فيمن كان يقابل من وفود العرب الى بيت الله الحرام ، وأن يستمعوا اليه حين عرض عليهم الاسلام . وكان من أمرهم أن بايعوه على مناصرته ، وكانت بيعة العقبة الثانية أهم البيعات وأشدها تأثيرا في حياة الدعوة الاسلامية وانتشار الاسلام في يثرب ثم الجزيرة العربية .

لقد تمت هذه البيعة في شهر ذي الحجة من السنة الثالثة عشرة بعد البعثة ، وفيها تكلم عليه السلام فقرأ القرآن على فريق من الخزرج ، ودعا الى الله ورغب فيه . ثم قال : « أبايعكم على أن تمنعوني مما تمنعون منه نساءكم وأبناءكم » . فأخذ سيدهم بيد الرسول ثم قال : « نعم والذي بعثك بالحق لنمنعنك مما نمنع منه أزرنا ، فبايعنا يا رسول الله فانا والله أهل الحروب وأهل الحلقة ورثناها كابرا عن كابر » .

والحديث عن هذه البيعة وما سبقها من البيعات حــديث طويل ، لسنا في حاجة الى الخوض فيه الآن ، ويكفي أن نقول انها كانت من الاسباب الممهدة للهجرة الميسرة لها ، اذ أنه لو لم يكن للرسول والمسلمين في يثرب أنصار يعتمد عليهم ويعتد بهم ، يحسنون استقبالهم ويكرمون وفادتهم ما تيسر لهم أن يهاجروا الى المدينة بتلك السهولة ، ولا أن يطيب لهم العيش فيها بين سكانها الذين أصبحوا اخوة لهم يعاونونهم ويشاطرونهم سراء الحياة وضراءها .

وقد كان من شأن بيعة العقبة الثانية أن يزيد في حنق قريش وغيظهم وحقدهم على الرسول وأصحابه ، فقد وجدوا أن الاسلام يزداد يوما انتشارا ، وأن عدد المسلمين في نمو مطرد ، على الرغم من ايذائهم وقسوتهم في معاملة الرسول ومن آمنوا به.

وقد زادهم حنقا الى حنق وغيظا الى غيظ أن المسلمين أخذوا يهاجرون الى المدينة ، فقد أمرهم الرسول بذلك اشفاقا عليهم ورحمة بهم ، وقال لهم فيما قال : « ان الله عز وجل قد جعل لكم اخوانا ودارا تأمنون بها » .

وكان الذين يهاجرون يتسللون لا يشعر بخروجهم أحد ، وينزلون على الأنصار اخوانهم بالمــــدينة ، فيفرحون بمقدمهم ، ويواسونهم ، ولا يحتجزون دونهم شيئا من أموالهم .

وقيل في هجرة عمر رضي الله عنه انها كانت جهرا ، فقد تقلد سيفه وتنكب قوسه ، ومضى قبل الكعبة ، والملأ من قريش بفنائها فطاف بالبيت سبعا ، ثم أتى المقام فصلى ، ثم وقف على الحلق واحدة واحدة ، وقال لهم : « شاهت الوجوه ، لا يرغم الله الا هذه المعاطس ، من أراد أن تثكله أمه ، وييتم ولده ، وترمل امرأته فليلقني وراء هذا الوادي » . فلم يتبعه أحد منهم . وهاجر في صحابته نحو عشرين من مستضعفي المســلمين بمكة .

حينئذ شعرت قريش بالخطر ، وعلمت أن الرسول وأصحابه قد أصبحوا قوة يخشى بأسها ، وأن المهاجرين أصابوا من المسلمين ديارا ومنعة ، فليس وراء ذلك الا أن يعلن المسلمون الحرب على المشركين . واذن لا مناص من التفكير في الامر ، واتخاذ الحيطة للمستقبل ، واعداد العدة له قبل أن يفلت الزمام من أيديهم .

لقد هاجر المسلمون الى المدينة ولم يبق بمكة الا محمــد وصاحباه أبو بكر وعلي والمستضعفون من المسلمين ، فمن الواجب أن تفكر قريش وأن تسرع في التفكير والعمل قبل أن يفوت الأوان ، لأن محمدا اذا هاجر واحتمى بالأنصار نزلت بقـريش المصيبة الكبرى ، وأدركهم الفشل الذريع بل الهلاك المــاحق السريع . فماذا هم فاعلون ؟

اتفقوا على أن يجتمع رجالاتهم وصناديدهم وسادتهم في دار الندوة للتشاور في الامر ، فلما اجتمعوا اختلفوا ورأوا في الامر آراء مختلفة ، وأخيرا قام أبو جهل بن هشام وأبدى رأيه المعروف فاتفقوا عليه . والى هذا يشير قوله تعالى : « واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ، ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين » ــ الأنفال : ٣٠ .

فما كان الله ليذر رسوله يقع فريسة في أيدي أعدائه ، بل انه سبحانه أوحى الى عبده المخلص له تلك المؤامرة الخبيثة، وأمره الا يبيت على فراشه تلك الليلة ، فأمر عليا فنام مكانه مغطى ببرده الأخضر ، وخرج ليلا والفتيان مجتمعون لتنفيذ المؤامرة فألقى الله عليهم النوم ، فلم يره أحد منهم ، وجعل ينثر التراب على رؤوسهم ويتلو الآيات الأولى من سورة يس ، ويقــول : شاهت الوجوه . وذهب الى غار ثور ، وأتى الفتيان آت قال لهم : ما تنتظرون ههنا ؟ قالوا : محمدا، قال : قد خيبكم الله ، قد ــ والله ــ خرج محمد عليكم ، ثم ما ترك منكم رجلا حتى وضع على رأسه ترابا ، وانطلق لحاجته ، فما ترون ما بكم ؟ فوضع كل رجل منهم يده على رأسه فاذا عليه التراب . ثم جعلوا ينظرون عليا على الفراش فيحلفون انه محمد، حتى اذا ما أصبحوا

وقام على من الفراش سألوه : أين ابن عمك ؟ فقا [illegible] : « قلتم له اخرج عنا فخرج عنكم » ، فتفرقوا في كل سبيل فلم يقعوا عليه .

وقصة هجرة الرسول وصاحبه مدونة بالتفصيل في كتب السيرة ، ويعنينا منها أن نشير الى بعض المعجزات الباهرات والآيات البينات التي تمت في أثنائها .

ففي مقدمة تلك المعجزات تأتي « معجزة الغار » التي مكث فيه الرسول وصاحبه ثلاث ليال ، وما كان من أمر الحمامتين والعنكبوت .

لقد كان الموقف رهيبا حقا ، حتى ان أبا بكر رضي الله عنه خشي أن يعرف المشركون طريقهم الى الرسول ، فحزن في نفسه أشد الحزن وقال له : « ان قتلت أنا فانما أنا رجل واحد ، وان قتلت أنت هلكت الامة » ، فقال له الرسول : « لا تحزن ان الله معنا » . فأنزل الله سكينته على الرسول وصاحبه ، وأيد رسوله بجنود من الملائكة يحرسونه ويصرفون وجوه الكفار وأبصارهم عن رؤيته . وفي ذلك يقول الله تعالى : « الا تنصروه فقد نصره الله اذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين اذ هما في الغار ، اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا ، فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا والله عزيز حكيم » ـ التوبة : ٤١ .

ويأتي بعد ذلك حديث أم معبد الخزاعية ، فقد مروا عليها بمكان يسمى « قديدا » ، فأرادوا أن يشتروا منها ما يأكلونه ويشربونه فلم يجدوا عندها شيئا ، فاستأذنها الرسول في حلب شاة لها أدركها الجهد فتخلفت عن الغنم ، فأذنت له فأمسك الرسول بضرعها وسمى ، ومسحه ، فدرت ، فشربوا من لبنها جميعا .

ثم يأتي حديث سراقة بن مالك المدلجي الذي طمع أن يكون له الجعل الذي جعلته قريش لمن يرد محمدا وصاحبه وهو مائة ناقة .

فأخذ فرسه وسلاحه ، واستقسم بأزلامه وقداحه ، فكان دائما يخرج له السهم الذي يكره ، فلم يأبه بذلك ، واقتفى أثر الرسول ، فعثر به فرسه في الطريق عدة مرات ، فلم يتشاءم ، ولم يزل يجد في السير حتى كان على مرأى من الرسول ومن معه ، فحينئذ عثر فرسه وغاصت يداه في الارض فسقط عنه سراقة ، ولم يستطع تخليص يدي فرسه من الارض الا بشق النفس ، فأدركه الرعب والفزع ، وعلم أن لا سبيل الى ادراك الرسول وصاحبه ، فأخذ يناديهما ويعرفهما بنفسه ، ويطلب الأمان ، ويقسم أنه لن يصيبهما منه أذى ، وأنه سيرد عنهما أعداءهما ، فوقفا ، وقال الرسول لأبي بكر ، قل له : وما تبغي منا ؟ قال : تكتب كتابا يكون آية بيني وبينك . فاجاب الرسول طلبه ،ورجع فكتم خبره ثلاث ليال . ولما علم أبو جهل بذلك لامه ، فقال سراقة :

أبا حكم ! والله لو كنت شاهدا
لأمر جوادي اذ تسوخ قوائمه
علمت ولم تشكك بأن محمـــدا
رسول ببرهان فمن ذا يقاومه

ومضى الرسول وصاحبه في طريقهما حتى وصلا الى قباء ساعة الضحى ، فنزلا عند عمرو بن عوف ، وكان ذلك يوم الاثنين لثمان خلت من ربيع الاول لثلاث وخمسين سنة من مولد الرسول صلى الله عليه وسلم . ويرى المحققون أن ذلك يوافق العشرين من شهر سبتمبر سنة ٦٢٢ من ميلاد السيد المسيح عليه السلام.

وبعد ، فان الهجرة المحمدية في مقدمة الأحـــداث العالمية الكبرى التي غيرت مجرى تاريخ الاسلام ، بل تاريخ العالم كله ، وانها لتنطـــوي على دروس خلقية خالدة ، ســـيبقى ذكرها أبد الآبدين .

فما ظنك برجل يفني في عقيدته ، ويجاهد بمفرده في سبيل الدعوة الى ربه ؟ ويستمسك أشد الاستمساك بما اعتقد اعتقادا جازما انه هو الحق المبين ، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، ولا يأبه بمال ، ولا يعنه بأي نوع من أنواع المغريات ؟ فقد أدرك بهدى ربه ، وثاقب تفكيره ، ونور بصيرته أن هذه كلها أعراض زائلة ، وظلال حائلة ، لا يرغب فيهـــا الا من تمكنت من نفسه الأهواء الخبيثة ، وأخذت بلبه الشهوات البهيمية الحقيرة ـ فصدف عنها ، وانطلق في طريقه معتمدا على ربه ، واثقا من نفسه ، مؤمنا ايمانا عميقا أن الله الذي أرسله بالحق لا شك مؤيده وناصره حتى يظهر الاسلام ، وتختفي ظلمات الكفر والبهتان ، ويحل محلها نور الهداية والايمان .

وما ظنك بأبي بكر الصديق ؟ ذلك الصاحب الوفي الأمين ، الذي أبى أن يفارق صاحبه في أحرج الاوقات وأشد الأزمات ؟ فقد لازم الرسول منذ آمن به فيمن آمن من الرعيل الأول ، وقدم نفسه وماله وأهله فداء لله وللرسول وللاسلام وللمسلمين .

ثم ما ظنك بأولئك المسلمين الأولين ، أصحاب الرسول الأوفياء ؟ الذين لاقوا مالاقوا من أنواع الاغراء ، وضروب الايذاء وصنوف الاعتداء ، فلم يصرفهم شيء عن عقيدتهم التي آمنوا بها ايمانا عميقا ، ولم يزحزحهم أحد عن موقفهم من مناصرة الرسول في أيام المحنة وأوقات الشدة ، على الرغم من ضعفهم وقلة عددهم، ومن قوة أعدائهم وكثرة أنصارهم .

وهل يذكر التاريخ مثل ذلك النصر المبين الذي أنعم به الله تعالى على رسوله الأمين ، فظل يرعاه بعنايته ، ويتولاه برعايته؟ حتى استبدل بضيقه فرجا ، وبعسره يسرا ، وبلغ الغاية آمنا مطمئنا لم يخب له رجاء ، ولم يشمت به الأعداء .

عناية الله أغنت عن مضاعفة   من الدروع وعن عال من الأطم

ان الحقائق الرائعة التي تنطوي عليها هـــذه الهجرة الشريفة تتلخص في أن رجلا واحدا يقف وحده أمام جمهور كبير من كفار قريش ويتحداهم ويصمد في تحديهم ، ويعينه الله تعالى فينتصر عليهم ، وينقلب مؤامرتهم عليه رأسا على عقب . وذلك بهجرته هو وصاحبه الوفي الأمين وســـيرهما مع خادم لهما في طريق صحراوي موحش وعر ، ويرعاهم الله فيكملون رحلتهم الطويلة المضنية آمنين مطمئنين ويصلون الى يثرب فيلقاهم أهلها فرحين مستبشرين ينشدون :

طلع البدر علينا من ثنيات الوداع

حقا ان هذه الهجرة الطيبة قد غيرت مجرى التاريخ ، وكانت حدا فاصلا بين الحق والباطل وبين الخير والشر ، وبين الحرية والاستعباد ، وبين العدل والظلم ، وبين المحبة والكراهية ، وبين الوحدة والفرقة وبين التوحيد والاشراك ، وبين النور والظلمات : بين الاسلام والكفر ، وما كان غير ذلك ليحدث فان عدل الله وحكمته ورحمته ولطفه بعباده تجعلنا نعتقد اعتقادا جازما أن دولة العدل والصلاح الى بقاء ، وأن دولة الظلم والفساد الى فناء ٠

وقد كان من اهم نتائج تلك الهجرة السعيدة أن سعى الرسول الكريم في توحيد كلمة العرب ، فبدا بتوحيد الكلمة في يثرب فأصلح بين الاوس والخزرج ، وآخى بين المهاجرين والانصار ، وعقد معاهدة مهادنة بين المسلمين واليهود ٠

وبعد أن تم له ذلك خلا له الجو فانطلق يكمل رسالته ، ويتمم شريعته ، يفصل احكامها الخاصة بشئون الدين والدنيا ولم ينفك الوحي يتنزل عليه يؤيده ويناصره ، ويمده بما كان يصدره من أحكام وتشريعات ٠

على أن ثائرة قريش لم تهدأ بل انهم استمروا يفكرون في طرق الايقاع بالرسول وأصحابه ، والقضاء على الدعوة الاسلامية في بيئتها الجديدة ، وكان أن نشبت بين المسلمين والكفارحروب دامية في غزوات وسرايا كان مآلها النصر المؤزر للمسلمين ، والفشل الذريع للمشركين ، وجاء نصر الله الاكبر ، ودخل المسلمون مكة ، وحطموا أصنام الكعبة ، ودخل الناس في دين الله افواجا ، وكان للاسلام الكلمة العليا في الجزيرة العربية ٠ ولم يكن لهذا النصر الحاسم من سبب أقوى من قوة مبادئ الاسلام وسلامتها ، وشدة التمسك بها ، والجهاد في سبيل نشرها ٠

ولكي ندرك تلك النتائج الباهرة التي ترتبت على هجرة محمد رسول الله من مكة الى المدينة علينا أن نتصور أن هذه الهجرة لم تتم ، ثم نتصور ماذا يكون الموقف ٠

أغلب الظن أن بناء الاسلام سيكون خليقا بأن يتصدع ، وأن أركانه ــ لامحالة ــ سوف تتزعزع ، فيعود الاسلام غريبا كما بدأ ، وتعود بلاد العرب سيرتها الاولى فتنتشر فيها الوثنية ، وتسودها الفتن والاضطرابات ٠

ولنا فيما حدث بعد أن لحق الرسول بالرفيق الأعلى اكبر دليل على ذلك ٠ ألم يقل عمر بن الخطاب اذ ذاك : « من أخبرني أن محمدا قد مات ضربته بسيفي » ٠ ولم يهدئ من ثورته الا قول أبي بكر : « وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل أفئن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ؟ » ٠

ثم ألم يرتد عن الاسلام فريق من المسلمين ؟! وألم يمتنع بعض العرب من المسلمين عن أداء الزكاة ؟ وأخيرا ألم يدع النبوة مسيلمة وغيره ٠

فاذا كان هذا وذاك وغيرهما قد حدث عقب وفاة الرسول ، أفلم يكن من المنتظر بل من المرجح أن يحدث مثله بل أكثر منه اذا لم تتم الهجرة ، ونجح الكفار في مؤامرتهم وازماعهم قتل الرسول ؟ لا قدر الله ٠

ان تلك المؤامرة لو قدر لها النجاح والاسلام لم ينتشر بعد ، ولم تتمكن عقائده من نفوس المسلمين ، ولم تكمل شرائعه ، ولم ترس قواعده ، ولم يتم نزول القرآن الكريم موضحا تلك الشرائع أقول : لو قدر لتلك المؤامرة النجاح في تلك الظروف لكان على الاسلام السلام ، ولكن الله تعالى أراد أن ينعم على العالم بنعمة الاسلام فأحبط تلك المؤامرة ، وبقي الاسلام صرحا شامخا يهدي الضالين وينير الطريق للسالكين ٠

ترى هل يذكر التاريخ هجرة مثل هذه الهجرة السعيدة الموفقة ؟ نعم ٠ ان التاريخ يذكر هجرة أبي الأنبياء خليل الله ابراهيم عليه السلام ، فقد نشأ في بيئة وثنية بين قوم يعبدون الأصنام ، ويغلون في تقديسها وعبادتها ، ويتخذون بيوتا لحفظها وعرضها ، فثار ابراهيم على قومه ، وحطم أصنامهم ، فحنقوا عليه ، وائتمروا به ، وقرروا أن يوقدوا النار ليلقوه بها ،ولكن الله يحميه ، فتكون النار بردا وسلاما عليه ٠

وقرر ابراهيم أن ينجو بنفسه ويهاجر الى ربه ليهديه ،فهجر وطنه مسقط رأسه من بلاد الكلدان ، وظل يتنقل في بلاد الله من الشرق الى الغرب ، ثم من الشمال الى الجنوب ، الى أن يستقر بأرض كنعان ، ويرزقه الله ذرية صالحة قوامها ولداه اسماعيل واسحق ، ومن وراء اسحق يعقوب ٠

ما أشبه هجرة الرسول بهجرة أبيه ابراهيم ! فكلاهما يثور في وجه الوثنية فلا يلقى من قومه الا التعذيب أو الاستهزاء والسخرية ، وكلاهما يحمل لواء التوحيد ، ويهجر وطنه بغية نشر كلمة الله العليا : كلمة التوحيد ، وصدق الله العظيم حيث يقول : «ان أولى الناس بابراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا » ــ آل عمران : ٦٨

ان هاتين الهجرتان متشابهتان ، ولكن مع فارق جوهري بينهما : فهجرة ابراهيم عليه السلام لم يكن لها من النتائج الباهرة ما كان لهجرة ابنه محمد بن عبد الله ، ان ابراهيم لم ير في حياته التي طالت ثم طالت قومه يتبعون الدين الحق ، ويعتقدون العقائد الصحيحة الخالية من جميع شوائب الاشراك ، أما محمد ابن عبد الله فقد بارك الله في حياته القصيرة فرأى ــ قبل أن يلحق بالرفيق الأعلى ــ الدين الحنيف ينتشر في بلاد العرب من أقصاها الى أقصاها ، ويحمل خلفاؤه من بعده لواء الحق والخير والحرية فينشرون في بلاد الله ذات الطول والعرض ذلك الدين الحنيف الذي ما زالت الحوادث ولا تزال ولن تزال تبرهن على أنه قد أقيم على أسس قويمة ٠ وصدق الله تعالى حيث يقول : « سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق » ٠ فصلت : ٥٣ ٠

« حامد عبد القادر »



وحي الهجرة

علي الجندي

بين هذه الفتن المائجة ، والمحن المطبقة ، والاحن المتاججة ، واشفاق النفوس من قيام حرب عالمية ثالثة تقوم بها الساعة !! يبسم عيد الهجرة بسمة القمر المنشق من فتوق السحب المتراكمة ، فينعش النفوس ويروحها ويمسح ماران عليها من دون المادة وصدئها ، ويجلو على البصائر اجمل معنى من اجمل ذكرى ، لأسمى عيد اهدته السماء الى الارض !! . وهنا تسمو الخليقة بابصارها الى «ام القرى» فترى كيف يحتدم النضال بين الروح والمادة ، بين الخير والشر ، بين حزب الرحمن وحزب الشيطان !!

ثم ترى كيف يجمع الباطل قواه ، ويعد عدته للفتك بالحق الاعزل فى مهده ، فلايستخذى الحق ولا يستكين ، بل يشمخ بأنفه ، ويفزع الى حماه وانصاره ، ثم يكر على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق ، والله متم نوره ولو كره الكافرون !!

شكر الله لأبى حفص صالح سعيه !! لقد اختار الهجرة مبدءا لتاريخ الاسلام ، لأنها مبدأ عز الاسلام وكأنه كان يرى بفطرته السامية انها ستكون مبدأ لتاريخ الانسانية الكاملة ، يوم تلهم الانسانية رشدها وتقواها ، وتبرأ من عنادها وتعصبها ، وتستشرف الى هدى سماوى خالص من الشوائب ، ينير طريقها ، بعد ان اضلها الهوى ، وفتنها العقل ، وقتلها العلم ، واغواها المال ، وابطرتها القوة !! ولن تجد ذلك الهدى الا حيث انفجر الينبوع من بطحاء مكة ، وانبعث النور من افق طيبة ، فاذا المفازة القفر روضة أريضة غناء ، اشجارها الايمان الراسخ ، وفروعها العلم النافع ، وازهارها العمل الصالح واثمارها الحكمة البالغة !!

الهجرة كلمة وجيزة : صراع بين الحق والباطل — ولكن هذه الكلمة — على وجازتها — لوح الدهر المسطور ، وكتاب التاريخ المنشور ، وسفر الحياة الجامع !! صرخة بالايمان فى هيكل الوثنية ، وتحد للطاغوت بين أوليائه وسدنته ، ونعى على الموروث بين عباد الموروث !! وثبات على العقيدة لا يثنيه وعد ولا يزدهيه وعيد !! وأمل فى روح الله لا يطفئه يأس ولا قنوط ، واحتمال للأذى فوق طوق الاحتمال ، وصبر على المكاره تعيا به الجبال !!

لقد تعبت قريش فى اغراء محمد ، وتعب محمد فى هداية قريش !! عرضوا عليه المال والسيادة والملك ، فعزف عن كل شيء ، ولو كان من ذلك أن يضعوا الشمس فى يمينه والقمر فى يساره !! لأن الله أعطاه ما هو أسمى من الشمس والقمر والدنيا بما فيها أعطاه الرسالة العامة وجعله العاقب الخاتم و«الله أعلم حيث يجعل رسالته» ولأنه لا يملك الا أن يبلغ ما بعث به وأنزل عليه ، فاصدع بما تؤمر واعرض عن المشركين » ..

ثلاثة عشر عاما فى دعوة متصلة ، ما كان أضعفه

من تحمل اعبائها لو لم يكن رسـول الله ، مؤيدا بروح الله محفوفا برعاية الله !! بين قوم لد اولى نخوة واولى باس شديد ، يلغ من لجاجهم وابائهم وحميتهم ان قالوا : « اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم » يسطوا عليه السنتهم وأيديهم وهو صابر محتسب يقابل جهلهم بحلمه ، وغلظتهم بلينه ، واساءاتهم باحسانه ، وايذاءهم بصفحه ، وعدوانهم بالدعاء لهم « اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون » !!

فاذا قصد الطائف يظن الخير باهله سلطوا عليه اوشابهم ورذالهم وسفلتهم ، فأحاطوا به صـفين يرمون عقبيه بالحجارة حتى يخضب الدم نعليه !! فاذا سقط اعياء أخذوا بعضديه فأقاموه ، فاذا مشى رجموه وسخروا منه والله يسخر منهم كما يسخرون !! فلا يملك الا أن يتجه الى ربه فيناجيه بهذا النداء الضارع الرقيق « اللهم اليك اشـكو ضعف قـوتى وقلة حيلتى وهوانى على النـاس يا ارحم الراحمين ... »

ما اكرم نفسك يا رسول الله !! وما ارحم قلبك، وما أسجح خلقك !! كنت قادرا أن تدعو عليهم كما دعا أبوك « نوح » على قومه من قبل ، فتنقض عليهم الصواعق ، أو تأخذهم الصيحة ، أو تسوى بهم الارض !! ولكن كيف يدعو على الناس من أرسل رحمة للناس !! كيف يستنزل العـذاب من بعث عصمة من العذاب !! كيف ينتقم لنفسه من يقول عن نفسـه : « انما بعثت لأتمم مكارم الاخلاق » ويقول الله فيه « وانك لعلى خلق عظيم » !!

ويجمع قومه على قتله .. وقد اعيتهم الحيل فيه ـ بطريقة مبتكرة جـادت بها مخيلة ابليس اللعين . فيامره الله بالهجرة الى المدينة ، فيفارق مسقط رأسـه ، ومنبت أسرته ، ومعهد الافه وخلانه ، ومهبط وحيه ، والجلاء عن الوطن صنو القتل « ولو أنا كتبنا عليهم أن اقتلوا انفسكم أو أخرجوا من دياركم ما فعلوه الا قليل منهم » .

نعم !! يفارق مكة والحنين يجذبه اليها ، فيودعها بهذه الكلمة العذبة النبيلة الجليلة « والله انك لأحب ارض الله الى ، واحب ارض الله الى الله ، ولولا أن أهلك اخرجونى منك ماخرجت »

ويقدم له أبو بكر ناقته ليركبهـا فيأبى الا أن يشتريها بالثمن !! ولم ذلك ؟ والصـديق حبيبه وصفيه ، وامن الناس عليه فى نفسه وماله !! كان ذلك لأن هجرته لله وفى الله والى الله !! فمن الحق أن تكون نفسه وماله ومطيته ملكا خالصا لله !!

فى هذه اللحظة كان هناك فى بيت الرسول فتى تتعجب من فعله الملائكة !! فتى ابدع فى فن البطولة والتضحية والايثار قصة طرز بهـا علم التاريخ !! فتى ينـام على فراش ابن عمه متـسجيا ببرده الحضرمى ، يتقلب يمنة ويسرة لا يبالى أوقع على الموت ام وقع عليه الموت !! وكيف يخاف الموت على ابن ابى طالب الذى نشأ فى حجـر النبوة ، ودرج من مهد الرسالة ، وقبس من الأدب العالى الذى ادب به الله نبيه فأحسن تأديبه !!

وفى هذه اللحظة كان هناك رجل يضرب للناس اروع مثل فى الحب والاخلاص والوفاء !! صاحب بر لا يقر له قرار خشية الا يأذن له صـاحبه فى الهجرة معه !! فاذا اذن له بكى من الفرح ، فيعلم النـاس حينئذ أن من الافـراح مايبكى كما تبكى الاحزان !! صـاحب بر يحمل معه كل ماله تاركا بنتيه الصغيرتين بلا مال فى كنف أبيه الشيخ الفانى!! وما كانت أسماء وعائشة فى حاجة الى المال ، ولا رعاية الرجال ، لانهما فى رعاية ذى العزة والجلال !! صاحب بر يسـبق صاحبه الى الغار فيمسـح جدرانه ويفتش زواياه واركانه ليطمئن الى خلوه من السباع والهوام !! فاذا وقف القـافلة على باب الغار ، استطير عقله ، وانخلع قلبه رحمة برفيقه وحزنا عليه ، فلا يذهب روعه حتى يسكب فى اذنه كلمة ، هى وحدها برهان النبوة ودليل الرسـالة « لا تحزن ان الله معنا !! »

رحم الله أبا بكر لو نظر الى باب الغـار لرأى المعجزة ماثلة فى العنكبوت والحمامة !! لقد استحال أوهن البيوت ـ بلطف الله ـ سياجا محكما وحمى لا ينال !! وانقلب العش اللين الوديع باذن الله حرزا حريزا وحصنا حصينا يعز على من رامه ويطول !!

وفى هذه الاوقات كان هناك قوم يجلون على العالم صورة وضيئة للهفة المحب ، وشفقة الودود، وله المتيم ، وحنين المشوق المغرم !! كانوا يخرجون كل صباح الى ظاهر مدينتهم فوق وقدة الرمضاء ، وتحت وهج الشمس ، يمدون ابصارهم الى الافق

البعيد ، ليستقبلوا وافدا كريمـا ، يحمل اليهم سعادة العاجلة والآجلة !! ظلوا كذلك اياما متوالية يغدون ويروحون ، حتى اذا غمرهم نوره ، وفغمهم عبيره ، تزاحموا عليه بالمناكب ، وهتف صبيانهم وولائدهم بالغرودة وعاها سمع الكون وخلدها سجل الزمان :

طلع البدر علينا من ثنيات الوداع !!

وما كاد المهاجر ينفض عنه غبار السفر ، حتى كانت فاتحة اعماله بناء اول مسجد اسس على التقوى ليعلم الناس ان الصلاة عماد الدين ، وقرة عين المؤمنين . ثم ثنى بعمل لم يروه التاريخ لنبى ولا لمصلح من قبل ، وهو مؤاخاته بين المهاجرين والانصار ، حتى كان يرث بعضهم بعضا حقبة من الدهر !! ، ليتدبر المسلمون هذا المعنى السامى من هذه النعمة التى امتن بها عليهم فى الأولى : « واذكروا اذ كنتم اعداء فألف بين قلوبكم » وامتن بها عليهم فى الاخرى « اخوانا على سرر متقابلين »

هذا الاخاء هو الذى جمع شمل امة كان اعدى أعدائها الاخاء !! وفى ضوء هذا الاخاء يقول النبى « آل محمد كل تقى » ، ويقول على : سلمان منا آل البيت ، ويقول عمر : لو كان سالم مولى ابى حذيفة حيا لوليته الخلافة .

وبهذا الاخاء عز المسلمون وسادوا ، ولن تعود اليهم العزة والسيادة حتى يعودوا الى هذا الاخاء!!

ولن تسكن الهزاهز ، وتبطل الحروب ، ويسود الوفاق حتى تعتنق الأمم هذا الاخاء !! الاخاء الذى يسمو فوق الحدود والاقاليم ، والالوان والدماء والقوميات والعصبيات ، فلا شرق ولا غرب ، ولا اسود ولا أحمر ، ولا اشقر ولا اصفر !! الناس كلهم لآدم وآدم من تراب ، واكرم الناس عند الله اتقاهم ، وخير الناس انفعهم للناس !!

يا نبى الرحمة ، لقد قست القلوب !! وضلت العقول !! وهفت الاحلام ، وحار الدليل ، وتمزق القطيع ، واحاطت بنا خطيئاتنا ، وقد جئناك نستغفر الله !! فاستغفر لنا !! فربك يقول : « ولو انهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما »

عبقة من شذاك فى عيد هجرتك تروح النفوس ، وتشرح الصدور !! ولمعة من سناك تكشف الغاشية ، وتجلو الغمرة ، وتجمع قلوب العرب على الاخاء ، ونفوس المسلمين على الصفاء !! عمت المحنة وانت المؤمل ، واشتد الكرب وعليك المعول ، وداس مثوى « براقك » عبيد العصا والقفا ونفاية الأمم وحثالة الشعوب !! فاذكرنا عند ربك ، واشفع تشفع ، فانت كما وصفك ـ جل ثناؤه ـ « عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم »

« على الجندى »

الهجرة إيمانٌ بالمستقبل

بقلم : محمد الغزالى



نحن فى عالم يسوده المنطق المادى ، وبعد المحسوسات وما يتصل بها هى الوجود الذى لاوجود وراءه ... !

وجمهرة البشر أخذت تستكين لهذا التفكير ، وتبنى عليه سلوكها فى الحياة ، وفرحها أو حزنها لما يصيبها من نعماء وبأساء .. !

نعم . انها تحت تأثير الدين تؤمن بما وراء المادة، وتأوى الى هذا الايمان فى الساعات العصيبة ...

بيد ان لغوب الناس على ظهر الارض ، وكدحهم لتحصيل ما يريدون انما يثور غباره وراء ضرورات العيش ومرفهاته ـ أما الدار الآخرة وما يمهد لها ، فأمر قلما يخطر على البال واذا خطر فقلما يقترن بالشعور الجياش والفكر المستغرق والعزم الحديد ... !

وحقيقة الدين تنافى هذا المسلك الخامل ، فان الايمان بالغيب قسيم للايمان بالحاضر . ولا يصح تدين ما الا اذا كان المرء مشدود الاواصر الى ما عند الله مثلما يتعلق بما يرى ويسمع فى هذه الدنيا ..

والغيب الذى أقصده هنا أوسع دائرة من عالم الملائكة مثلا ، أو مشاهد الجزاء الاخروى ،أو المرويات التى أنبأنا الوحى بها ولا نستطيع الوصول اليها بمداركنا ..

الغيب الذى أقصده هنا ما يتصل بالسلوك الانسانى المألوف لنا ، اى ما نتبعث عنه فى كفاحنا القريب لبلوغ ما نحب واقصاء ما نكره .. !!

ان النصر على الاعداء غيب ، خصوصا اذا وهنت الوسيلة ، وقل العون ، وفدحت العوائق .

ولكن الايمان بهذا النصر المأمول ينبع من الايمان بالله جل شأنه ، ومن ثم فالمجاهد الموقن يمضى فى طريق الكفاح المر ، وهو واثق من النتيجة الاخيرة .. !

ان غيره يستبعدها ، او يرتاب فيها .. أما هو فمعتقد أن اختلاف الليل والنهار يقربه منها وان طال المدى .

فاذا قال الله تعالى : « وكان حقا علينا نصر المؤمنين » فان الجماعة المؤمنة لا تهولها وعثاء الطريق ، وضراوة الخصوم ، وكآبة الحاضر ..

ان ايمانها بالمستقبل يعزيها عن متاعب اليوم . ويشعرها بأنها غيمة عارضة توشك أن تنقشع « فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الارض » والرزق ـ مثل النصر ـ غيب مرتقب . وعندما ينفق المؤمن ما عنده على أمل أن الله باعث خلفا له وعوضا عنه ، فهو يسير على منطق اليقين المحض .

ومن هنا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لبلال ـ لما ادخر له صبرا من طعام

« انفق يا بلال ولا تخش من ذى العرش اقلالا »

ولماذا يخشى الاقلال وقد وعد الله أن يخلف على من انفق ؟ ووعده منجز لا ريب فيه .

ان هذا الايمان بما عند الله هو الذى يرجع عند

المؤمن جانب العطاء عندما توسوس له نفسه بالامساك والمنع ، خصوصا مع التأميل فى الحياة ، والرغبة فى سعة الثراء ، والقلق من أحداث الزمان .. !

ولذلك جاء فى الحديث « أفضل الصدقة أن تصدق وانت صحيح شحيح تحب الغنى وتخشى الفقر » . والايمان العميق يجعل المرء كما وصف الرسول الكريم ، ان تكون بما فى يد الله أوثق منك بما فى يدك » .

كان المسلمون قبل الهجرة يملكون أنصبة وافرة من الايمان بالمستقبل ، يعتقدون أن دينهم لن يغلب ـ وان ضعف اليوم حملته ـ ويؤدون فرائض الجهاد والبذل وهم راضون عن ربهم ، راجون ما عنده .

***

والمجاهدون فى سبيل الله بشر تجيش فى أنفسهم المشاعر التى تجيش فى نفوس غيرهم ، من تقدير للحياة ، والرأى العام ، وكفالة الاولاد ، وتامين العيش لانفسهم وأهليهم ! بيد أنهم وازنوا بين مطالب الحق ، وأشواق الدنيا ، ثم آثروا وعد الله على وحى العاجلة .

وتأمل هذا الحديث الذى يصور الصراع النفسى لدى أنصار الحق ، وكيف يخرجون من غباره أوفياء لله ، أحقاء بكرامته .

عن « سبرة » بن « الفاكه » رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ان الشيطان قعد لابن آدم بطريق الاسلام فقال : تسلم وتذر دينك ودين آبائك ؟

فعصاه ، فاسلم ، فغفر له !

وقعد له بطريق الهجرة ، فقال له . تهاجر ، وتذر دارك ، وارضك ، وسماءك ؟ فعصاه فهاجر ...

فقعد له بطريق الجهاد فقال : تجاهد وهو جهد النفس والمال ، فتقاتل ، فتقتل ، فتنكح المرأة ، ويقسم المال .

فعصاه فجاهد .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فمن فعل ذلك فمات ، كان حقا على الله ان يدخله الجنة .

وان غرق كان حقا على الله أن يدخله الجنة .

وان وقصته دابة كان حقا على الله أن يدخله الجنة » .

هذه طبيعة الاستمساك بالحق والتفانى فى نصرته .

***

والواقع ان ايمان هؤلاء بالغيب مثل ايمان غيرهم بالمحسوس . ان الرجل الذى يقطع تذكرة للسفر من القاهرة الى الاسكندرية لايخامره شك فى أن الاسكندرية موجودة وأن القطار المنطلق ذاهب به اليها ! .

والمجاهد المسلم يؤمن بان الموت نداء الحق ينقله يقينا الى جنة عرضها السموات والارض ، ايماننا اليوم بأن السفر من عاصمة الى عاصمة أو من قارة الى أخرى يصل بنا الى ما نريد .. !

وعندما يرتفع الايمان بالغيب الى هذه القمة الراسخة ، فان أصحابه ينتصرون بمبادئهم حتما وناشروها فى الحياة نشرا لايدركه طى ، ومكتسحون ما يضعه المبطلون امامهم من عوائق .

والمستقبل الذى تنتصر فيه الرسالة وينتصف فيه أصحابها يتكون من جزءين أحدهما قريب والآخر بعيد .

اما القريب ففى هذه الدنيا وعلى أرض الميدان الذى تدور فيها المعارك .. اما البعيد فعندالله حيث تنكشف خبيئات النفوس وينال المحقون والمبطلون جزاءهم العدل وفى المرحلتين كلتيهما يقول الله تعالى: « أم يقولون نحن جميع منتصر . سيهزم الجمع ويولون الدبر . بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر » .

.. وجاء فى سورة أخرى « انا لننصر رسلنا والذين آمنوا فى الحياة الدنيا ويوم يقوم الاشهاد ، يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار » .

والمسلمون الاوائل لم تنقصهم الثقة فى مستقبل الدعوة التى آمنوا بها وكل ماعناهم أن ينهضوا

« البقية على ص ٣٤ »

ربٌّ واحد

الله أكبر شعب قام شاعره ... يشدو فانصت فوق الأيك طائره
شعب العروبة صان الله وحدته ... تحصى النجوم ولا تحصى مفاخره
ان خط أوسرد التاريخ سيرته ... تهتز من روعة الذكرى مشاعره
ان كان ماضيه بالامجاد محتشدا ... فما تخل عن الأمجاد حاضره
كالكرم طاب جنى في كف قاطفه ... وزاد من طيبه في الدن عاصره
مجد العروبة مرهون بوحدتها ... والخلف اوله ضعف وآخره
هيهات ينهض شعب بعد عثرته ... الا اذا اتحدت قلبا عناصره
والشعب وحدته اقوى ذخائره ... يوم الحفيظة ان عدت ذخائره
هي السلاح بيمناه اذا خمدت ... نيران مدفعه او فل باتره
يارب شعب شتيت الشمل منقسم ... من ضعفه قلمت منه اظافره
ما عاش يوما وان طال الزمان به ... بل دوره حين تأويه مقابره
له من الوطن المحتل مقفره ... اذا اقام وللمحتل عامره
يعيش في داره عبدا لآسره ... الطفل آمره والعبد زاجره
من يرض بالعيش في ظل الهوان فلا ... آوته ارض ولا قرت نواظره
والمرء تشقيه يمناه وتسعده ... وان تكن بيد المولى مصايره

❊❊❊

للعرب دين على التوحيد مرتكز ... اليه باطنه يدعو وظاهره
ما سر قوته في غير وحدته ... على مبادئها قامت شعائره
حسب ابن آمنة الزهراء معجزة ... شعب على يده انضمت عشائره
ما زال يخبط في ديجور فرقته ... حتى تآلف بالاسلام نافره
تمت على نغم القرآن وحدته ... كأنما سحر الألباب ساحره
فطبق الكون طيف من مهابته ... واوغلت في نواحيه عساكره
ان يذكر العرب ارتاعت قياصره ... وبات يخفق من رعب أكاسره
شعب من البيد ظهور العيس مركبه ... أطاعه الكون باديه وحاضره
البر من خيله يرتج يابسه ... والبحر من سفنه يهتز زاخره
قم سائل البحر بحر الروم هل عجبت ... امواجه وفتى الصحراء عابره ؟
من علم البدوي الماء يركبه ... فراح يمخر لج البحر ماخره ؟
ما كان يعرف الا الماء منسكبا ... من الغمام اذا ما جاد ماطره
حتى اذا اشتد بالتوحيد ساعده ... مشى على الماء تتلوه دساكره
لولا معاقل قسطنطين لانطمست ... آثار دولته وانفض سامره

❊❊

سل العروبة في شتى مرابعها ... عن مجد اولها هل عاد دائره ؟

وشعبٌ واحد

للشاعر: محمود غنيم

انى لألمح فى آفاقهـــــا القــــا ... من فجر نهضتها لاحت بشـائره
ان صح ظنى فان النصر عن كثب ... من شـــعبها لم لا والله ناصره !
شـــعب تخلص من اغلاله ومضى ... يجـر ذيل رداء الذل آسره
ففى الكنانة جيش صان حـوزتها ... يوم القنـــاة من الذؤبان كاسره
وفى الجزائر شـعب شن معـركة ... على المظالم خاضـتها جـرائره
وفى الشـــام وثام لا يـزال على ... رغم الحـــوادث ما انبتت أواصره
وحول دجلة شعب قام قومته الـ ... ـكبرى وثار على الطغيـــان ثائره
هى العـــروبة عين الله تكلؤهـا ... ما دار فى الفلك الـدوار دائره

***

ابناء يعـرب هـذا اليوم يومكمو ... يوم اغـــر صبيح الوجـه ناضره
عهد السلاسل والأغلال قد ذهبت ... ايامه الســود وانجابت دياجره
بالله لا تنسكم أعـراس نصركمو ... خصما عنيدا وأقواما تؤازره
على تخومكمو يا قـوم عن كثب ... خصـم الد خئـون العهـد غادره
لا تأمنوه ولا تفتـــــوا مضاجعكم ... الا واعينـكم يقظى تحـــاذره
وكيف تأمنـه والسم فى فمــه ... وليس يزحف الا وهـو فاغـره ؟
وكيف تأمن قوما لا أمان لهم ؟ ... انى أرى كيـــدهم تبدو بوادره
نار العـــداوة يصـــلاها مؤججها ... والجب يسـقط فى مهواه حافره
صـــفوا سرائركم من كل شـائبة ... تصـفو الحياة لمن تصفو سرائره
لا تذكروا خـطا الماضى لخاطئــه ... ما كان من خـــطا فالله غــافره
تنسى الذنوب مع القربى وان عظمت ... ان الشـفيق صـغيرات كبـائره
ان الاخاء اذا ما الأخوة اختصـموا ... على الخصـومة مرخـاة سـتائره
ان يلتئم شملكم لان الحـديد لكم ... كما يلين الحـديد الصلب صاهره
ان تطلبوا المجد كالصاروخ منطلقا ... ووحدة الصف والشورى مصادره
كأننى ألمح التــاريخ منقضـــيا ... يراعـــه ويمنـــاه دفاتره
كمـا اطلعتم على تـاريخ غـابركم ... تاريخـكم فى غـد تتلى محـاضره

***

جمال تمم لشـعب الضـاد وحدته ... فانمـا هى حب انت باذره
لا خصم للعـرب مهما عز جانبـه ... الا وانت بعـــون الله قاهـــره
ينـــام غـيرك فى امن وفى دعـــة ... وانت وحدك طول الليل سـاهره
أقسمت ما عادت الأهرام مفخـرة ... للنيـل لكن فخـر النيـل ناصره
سيف العروبة سيف الله أنت ولن ... يفل سيف اله العـرش شـاهره

« بقية المنشور على ص ٣١ »

بحقوق الدين الذى اعتنقوه ، وأن يثبتوا على صراطه المستقيم مهما تكاثرت المحن وترادفت الفتن ٠

من أجل ذلك هاجروا لما اقتضاهم الامر أن يهاجروا ، وخاضوا غمرات الحروب لما كلفهم الحق أن يبذلوا النفس والمال ٠

ولو شققت عن ضمائر القوم لوجدت الهجرة عندهم اشبه بانتقال الموظف اليوم الى بلد اتصل فيه رزقه أو نال فيه ترقية !

غاية ما هنالك من فرق أن هذا مسلك بدت فيه بواعثه المادية التى تواضع الناس على الاحتفال بها ٠٠

❊ ❊ ❊

اما المهاجرون الاوائل فهم ينتقلون من بلد الى بلد اقامة لدين مضطهد ، ويعاملون رب العالمين وحده حين يحلون وحين يرتحلون ٠ ويستيقنون من رضوانه ، تعبوا أم استراحوا ٠

ان هجرات الاحياء على ظهر الارض كثيرة ، بل ان الطيور فى الاجواء ، والاسماك فى المحيطات تقطع مسافات كبيرة وراء غاياتها المادية المحدودة ٠

لكن الهجرة التى علت بها أقدار ، وخلد بها أقوام تلك التى قامت ودامت ببواعث الايمان المحض ، والغضب لله والارتباط بتعاليمه ، والعيش بها أو الموت دونها ٠

ومع أن الوحى الاعلى لقن المؤمنين أن رسالتهم ستستقر ، ورايتهم ستعلو ، وأن الكفر سيذوب ، وينخذل حزبه ، الا أنه تملق افئدتهم بالمستقبل البعيد ، أعنى الدار الآخرة وما حوت من ثواب وعقاب « فاما نذهبن بك فانا منهم منتقمون أو نرينك الذى وعدناهم فانا عليهم مقتدرون فاستمسك بالذى أوحى اليك انك على صراط مستقيم وانه لذكر لك ولقومك وسوف تسالون » ٠

ولهذه الآيات معنى ينبغى أن نقف عنده طويلا ٠ فان المؤمن المجاهد قد يترك هذه الحياة دون أن يعرف نتائج الصراع المحتوم بين الهدى والضلال ٠ وهذا جائز ، بل كثير الوقوع ٠ لان انتصار الحق ربما اقتضى هذا المؤمن نفسه ان يقدم حياته ، فيكون استشهاده ، واستشهاد غيره من المؤمنين الجسر الذى تعبر عليه المبادىء ، وتشق طريقها الى مستقبل وطيد ٠

لكن هل ذهاب عدد قل أو كثر من أهل الايمان يفيد الضالين شيئا ؟ كلا ، ان الانتقام الالهى لاحق بهم يقينا ٠

ولذلك يؤكد القرآن الكريم هذه الحقيقة « فاما نذهبن بك فانا منهم منتقمون ، او نرينك الذى وعدناهم فانا عليهم مقتدرون » ٠

والخطة المثلى أن يؤدى الانسان واجبه المجرد دون استعمال لمصير ما فى هذه الدنيا ، والا يتعلق بالفوز الشخصى له ، أو الاندحار الشخصى لخصومه ٠

فمن يدرى ؟ ربما رشد هؤلاء الخصوم يوما ، وتحولوا الى الايمان الذى جحدوه من قبل ٠٠ !

وفى أعقاب احد ، ومع مرارة الهزيمة التى اصابت المسلمين ، يبين الله لنبيه هذه الحقيقة فيقول « وما النصر الا من عند الله العزيز الحكيم ليقطع طرفا من الذين كفروا أو يكبتهم فينقلبوا خائبين ، ليس لك من الامر شىء أو يتوب عليهم ٠٠٠

❊ ❊ ❊

فى اطار هذا اليقين العميق ، لبى المسلمون النداء الى الهجرة عندما طولبوا بالهجرة ، واستجابوا لله ورسوله غير ضائقين ولا جازعين ٠

ان الحياة بالنسبة الى المؤمن خط طويل يمتد مع الزمن لا يقطعه الموت ، ولا يعروه الفناء ٠

والمؤمنون حين يغرسون فى هذه الدنيا فهم يرقبون ثمار غرسهم فى المستقبل القريب ، أو المستقبل البعيد ، بين أهليهم هنا أو عند الله هناك ٠

ولن يخامرهم قنوط ، لان ما ارتقبوا تأخر ميعاده ٠

ولن يساموا تكاليف الجهاد ولو كلفتهم أن يحرموا وطنهم الغالى ، وأن يرغموا على ترك معايشهم به وذكرياتهم فيه ٠

« محمد الغزالى »

من ملحمة عمر

سر المقوقس

مسرحية بقلم : علي أحمد باكثير

المشهد الثاني

في الطريق بين رفح والعريش . الى العريش اقرب بعد عبور مهبط السيل .. يرى عمرو بن العاص وروماتوس ويونس واقفين يتطلعون فيما حولهم ونسمع قريبا منهم حمحمة خيولهم ..

عمرو : أتعلم يقينا يا أبا الروم ان هذه البقعة من أرض مصر ؟

روماتوس : أجل نحن في أرض مصر منذ عبرنا مهبط السيل ذاك .

عمرو : الحمد لله .. الآن اطمأن قلبي .. فليحمل رسول أمير المؤمنين الينا ما يحمل ..

يونس : (يهوي على الارض فيلثمها) واشوقاه اليك !!

عمرو : ماذا تصنع يا يونس ؟

يونس : قد وجب أن ألثمها أيها الأمير ..

روماتوس : يا لجنونك .. ماذا تلثم من تراب ؟

يونس : هذا ليس كأي تراب يا أبا الروم . هذه أرض أرمانوسية

عمرو : دعه يا أبا الروم وشأنه . فوالله لا جناح عليه بعد اليوم .. خبرني يا يونس .. هل رأيت ذلك الرجل صاحب الراحلة الدهماء ؟

يونس : لمحته من بعيد ولكنه لم يعرفني اذ أوهمته انني من الروم ثم سلكت طريقا آخر حتى سبقته ..

عمرو : لله أنت من رائد جيش ..

روماتوس : لا غرو فقد خرجه خالد بن الوليد وضرار بن الأزور

عمرو : والله لئن صح يا يونس ان الذي اقدرتنا به هو رسول أمير المؤمنين لأجعلن لك عندي جائزة سنية

يونس : اجعـــل جائزتي يا أمير الجيش أن تكون لي أرمانوسة ..

عمرو : لتكونن لك ان شاء الله يا يونس .. (ينظر جهة الشمال) ويلهم ما بالهم وقفوا في العدوة الاخرى لا يتحركون ؟ (ينادي بأعلى صـــوته) وردان يا وردان ..

وردان : (صوته من بعيد) لبيك أيها الأمير ..

عمرو : ما بالكم واقفين هناك ؟ ألم آمركم أن تلحقوا بنا على الأثر ؟

وردان : أيها الأمير ان المكان هنا أصلح لنزول الجيش من المكان هناك .

عمرو : ما أنت وذاك ؟ مرهم جميعا يعبروا مهبط السيل الينا ..

وردان : أيها الأمير .. مهبط السيل يفصل بيننا وبين العريش فخير لنا أن ننزل دونه ولا نعبره حتى لا يبيتنا العدو على غرة .

عمرو : (مغضبا) يا عبد السوء .. أينا الأمير أنا أم أنت ؟

ابن عمرو : (صوته من بعيد) يا أبت لقد صدق وردان .. الرأي رأي وردان ..

عمرو : (يزداد غضبا) أنت أيضا يا ابن ريطة ؟ أنت والعبد ؟ يا عبد الله ابن أبي سرح ! يا ابن أبي سرح ..

ابن ابي سرح : (صوته) لبيك أيها الأمير ..

عمرو : أنت على الجيش مكاني .. مرهم جميعا يلحقوا بنا على الفور ..

ابن ابي سرح : سمعا وطاعة أيها الأمير ..

عمرو : اسمع يا ابن أبي سرح .. ان اعترضك أحـــد فاقتله ..

ابن عمرو : (صوته) وعلام نعترض ؟ التبعة كلها عليك .

روماتوس : اعذرهما يا أمير الجيش فانهما يجهلان قصدك .

عمرو : وهل كان بوسعي أن أعلن لهما قصـــدي على رؤوس الأشهاد ؟ لقد أمرتهما أمري وعليهمـــا السمع والطاعة ..

روماتوس : طب بالا فهاهم أولاء يعبرون مهبط السيـل .

يونس : انظر ايها الأمير .. (يشير الى جهة الجنوب) هذا رجل من القبط قد أقبل ..

عمرو : بل هذا صاحبنا أبو رافع قد تزيا بزيهم ..

يونس : أبو رافع ؟

رومانوس : أجل أنه هو

عمرو : هلم يا مولى رسول الله ترى ماذا وجدت ؟

ابو رافع (صوته) أبشر يا أبا عبد الله

عمرو : افصح يا أبا رافع .

ابو رافع (يدخل) وجدت مدينة العريش خالية من حامية الروم ليس بها منهم أحد ..

عمرو : الحمد لله .. هذا فأل حسن ..

رومانوس : من أين لك هذه الثياب يا أبا رافع ؟

ابو رافع ابتعتها من سوق العريش .

رومانوس : ولم يحاول أن يمنعك من دخولها أحد ؟

ابو رافع ومن ذا يمنعني ؟ ليس فيها غير القبط .. يا أبا عبد الله ألا تعطيني الرسالة التي كتبتها للبطريق بنيامين لأحملها اليه ..

عمرو : (فرحا) أعرفت اليوم أين مقره ؟

ابو رافع لا . ان أحدا لا يعرف أين هو ولكني سأبحث عنه في كل مكان حتى أجده ..

عمرو : الا تؤجل مسيرك الى الغد ؟

ابو رافع : يا أبا عبد الله خير البر عاجله .

عمرو : الا تودع أم رافع قبل مسيرك ؟

ابو رافع : قد ودعتها أمس ولا أحب أن أودعها مرة أخرى

عمرو : خذها اذن وتوكل على الله (يخرج الرسالة من بين ثيابه ويناولها لأبي رافع)

ابو رافع : أوصيك بأم رافع خيرا يا أبا عبد الله .

عمرو : طب بالا فهي عندي وأم عبد الله بمنزلة واحدة.

ابو رافع : جزاك الله صالحة .. أستودعكم الله .

عمرو : أستودعك الله (يخرج أبو رافع)

(ينادي) يا عبد الله بن أبي سرح ..

ابن ابي سرح : (صوته من مكان قريب) لبيك أيها الأمير ..

عمرو : رتب الناس على منازلهم في هذا السهل واجعل خيام النساء في الوسط

بن ابي سرح : (صوته) حبا وكرامة ..

(يدخل عبد الله بن عمرو ووردان)

ابن عمرو : ما هذا الذي صنعت يا أبه ؟ أليس لك دين ينهاك عن هذه السفاهة أو مروءة ؟

عمرو : الأني دعوتك ابن ريطة ؟

ابن عمرو : لا فأنا ابن ريطة حقا ولقدوالله أنجبت ولولا هي لكنت قميئا بل لأنك شتمت وردان وسميته العبد

عمرو : أوليس هو عبدي ؟

ابن عمرو : لا يقل أحدكم هذا عبدي وهذه أمتي وليقل فتاي وفتاتي .. هكذا أدبنا رسول الله صلى اللهعليه وسلم .

عمرو : يا بني ان وردان يعرف منزلته عندي وليس لك أن تدخل بيني وبينه .

ابن عمرو : فلا تشتمه اذن أمام الناس .

عمرو : هو الذي دعاني الى ذلك وهو يعرف ذلك ..

ابن عمرو : أمن أجل انه أشار عليك بالرأي السديد ؟

عمرو : ويلك ما علمك أنت بالرأي السديد من غيره ؟ الأنك أسلمت قبلي ؟

ابن عمرو : اما والله ان ذلك لفضل كبير ..

عمرو : يا عدي نفسه .. أفلا طلبت الى أمير المؤمنين فولاك امارة الجيش مكاني ؟

ابن عمرو : يا أبت لا أحد ينازعك أمرة الجيش ولكن عليك الا تحقر مشورة أحد من المسلمين .

عمرو : يا بني .. فقه الناس في دينهم ان شئت .. ولكن دعني وسياسة أمري .. انما تعطي مشورتك في الحرب حين تستشار لا حين تؤمر والا ضاع الناس .

ابن عمرو : ذلك لو كنا في حرب ولم نخض حربا بعد ..

عمرو : بل نحن في حرب منذ فصلنا من قيسارية ..

ابن عمرو : لكن قتالا لم ينشب بعد ؟

عمرو : وكأن قد

ابن عمرو : ليس لك ان تستبد برأيك والا ضاع الناس ..

عمرو : أنت كنت المستبد برأيك اذ عطلت أمري عن النفاذ وليس ذلك من حقك

ابن عمرو : يا أبت الا تجعل حكما بيني وبينك ؟ انك فضلت مكانا على مكان هو خير للمسلمين منزلا وأسلم لهم عاقبة وأبعد من عدوهم منالا .. مع ما قد نالهم من الجهد والكلال فلو أنزلتهم هناك لأرحتهم من اجتياز مجرى السيل وهم لغوب ..

عمرو : أتقبل يا هذا أن نحتكم الى السابقين من صحابة رسول الله ممن هم أفضل مني ومنك ؟

ابن عمرو : نعم ..

عمرو : على بأبي ذر وأبي أيوب وأبي الدرداء ..

الثلاثة : (أصواتهم) ها نحن أولاء يا أمير الجيش (يدخلون)

عمرو : أولقد سمعتم يا صحابة رسول الله ما دار بيني وبين عبد الله بن عمرو ؟

الثلاثة : نعم ..

عمرو : فماذا ترون ؟

ابو الدرداء : اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : لا يكون اللعانون شفعاء ولا شهداء يوم القيامة .

ابو ايوب : وقال النبي صلى الله عليه وسلم : ليس المؤمن بالطعان ولا اللعان ولا الفاحش ولا البذيء

ابو ذر : وبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم اني عيرت فتاي بأمه الأعجمية فغضب النبي وقال يا أبا ذر انك امرؤ فيك جاهلية ..

عمرو : أستغفر الله مما قلت وأتوب اليه ولكن ما تقولون فيما زعم عبد الله بن عمرو اني أرهقت المسلمين اليوم باجتياز مجرى السيل فهل وجدتم في ذلك من رهق أو مشقة ؟.

الثلاثة : لا والله ما وجدنا شيئا من ذلك ولقد خرجنا ومعنا نساؤنا لنجاهد في سبيل الله ولنحتمل كل ما يصيبنا من ظمأ ومخمصة ومشقة ..

عمرو : أليس لي عليكم السمع والطاعة في كل ما آمركم او انهاكم ؟

الثلاثة : بل علينا أن نطيعك في المنشط والمكره والعسر واليسر الا أن تأمرنا بمعصية الله فلا سمع ولا طاعة .. على ذلك بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم .

يونس : (يدنو من عمرو) الرجل قد جاء أيها الأمير (ينسل خارجا كأنه يكره أن يراه الرجل)

عمرو : جزاكم الله خيرا يا صحابة رسول الله في هذا بلاغ ..

الرجل : (يدخل) السلام عليكم ورحمة الله ..

عمرو : وعليك السلام ورحمة الله .. من تكون يا أخا العرب ؟ أتريد أن تنضم الينا في قتال الروم بمصر ؟

الرجل : ويحك يا ابن العاص الا تعرفني ؟ أنا عقبة بن عامر ..

عمرو : عقبة بن عامر الجهني .. مرحبا بك يا أخا جهينة ..

عقبة : أنا رسول أمير المؤمنين اليك .

عمرو : مرحبا برسول أمير المؤمنين .. ويحك يا عقبة أتدري ماذا ظننتك والذي لا رأيتك اليوم في الطريق؟

عقبة : ماذا ظننتني ؟

عمرو : لقد ظننتك جاسوسا للروم علينا فأنذرني بك ..

عقبة : جاسوسا للروم ؟ الم يعرف من هيئتي اني عربي ؟

عمرو : يغفر الله لك يا عقبة وهل يتخذ الروم جواسيسهم علينا الا من العرب ؟

عقبة : صدقت يا عمرو .. لكن أين رائدك هذا ؟ اريد ان أراه .

عمرو : يونس .. تعال يا يونس .

يونس : لبيك أيها الأمير .. (يدخل)

عقبة : سبحان الله .. هذا هو الفتى الأشقر الذي سمعته يرطن فظننته عينا للروم أو رسولة .

يونس : أجل لقد رطنت له بالرومية لأوهمه اني من الروم فلا يقصدني بسوء .

عمرو : ما رأيت كاليوم عجبا .. لقد كنت على أن أنزل الجيش هناك بالعدوة الاخرى لولا خوفي من الجاسوس الذي أنذرني به يونس اليوم ..

روماتوس : أيها الأمير لعل الله قد أراد لنا في ذلك خيرا..

عمرو : الحمد لله الذي أبدلنا بجاسوس الروم رسول أمير المؤمنين ..

عقبة : خذ .. هذا كتاب أمير المؤمنين .

عمرو : (يفض الكتاب) كيف تركت أمير المؤمنين .. وأهل المدينة

عقبة : تركتهم جميعا بخير وتركت أمير المؤمنين وهو يتجهز للحج .

عمرو : عجبا أتدري يا عقبة ما في هذا الكتاب ؟

عقبة : لا يا عمرو وانما أمرني أمير المؤمنين الا آلو جهدا في الاسراع به اليك .

عمرو : أيها الناس .. أصغوا الي لأقرأ عليكم كتاب أمير المؤمنين ...

(تهدأ الاصوات) من عبد الله عمر أمير المؤمنين الى عمرو بن العاص أما بعد : ان أدركك كتابي هذا قبل أن تدخل أرض مصر فارجع الى موضعك وان كنت قد دخلت فامض لوجهك واعلم اني ممدك والسلام.أيها الناس .. أيكم يفتيني عن علم؟ أنحن في أرض مصر الآن أم في أرض فلسطين ؟

روماتوس : أنا أيها الأمير أفتيك عن علم .. قد خرجنا من أرض فلسطين فنحن الآن في أرض مصر ..

عمرو : اذن نسير في سبيلنا كما أمرنا أمير المؤمنين ..

الجميع : الحمد لله .. على بركة الله ..

عمرو : أيها المسلمون .. في أي يوم نحن ؟

الجميع : نحن في العاشر من ذي الحجة .. هذا يوم عيد الأضحى ..

عمرو : يا صحابة رسول الله .. أليس رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يحب الفأل ؟

ابو الدرداء : بلى كان صلى الله عليه وسلم يحب الفأل الحسن

عمرو : فأي فأل أحسن مما نحن فيه ؟ كان أول يوم نبلغ فيه أرض مصر يوم عيد .. هذا بشير النصر ان شاء الله وأول الفتح ..

« علي احمد باكثير »

الهجرة في الإسلام

بقلم : عبدالكريم الخطيب

لم يكن السيف الذى حمله الاسلام لدفع يد البغى عنه ، وردع الباغين الذين قعدوا للدعوة بكل سبيل ، وأخذوا أتباعها بالباساء والضراء ـ لم يكن السيف هو كل ما كان بين يدى صاحب الرسالة من وسائل لتبليغ رسالته ، والتمكين لها ، بل ان السيف كان آخر رمية رمى بها الاسلام فى الصراع المحتدم بينه وبين أعدائه الكائدين له ، والمتربصين به ، اذ لم يكن بد من لقاء الشر بالشر والسيف بالسيف ..!

التقت الدعوة أول ما التقت بالناس فى كلمات هامسة خافتة تتلمس طريقها الى العقول والقلوب كما تندس شعاعات الفجر فى أحشاء الظلام ، لا يكاد يشعر بها الا ذوو الأحاسيس المرهفة والمشاعر اليقظى .. ثم شيئا شيئا أخذت هذه الكلمات تعلو وتسفر فى سماء مكة وما حولها ، وتقرع اسماع قريش وأحلافها بما تحمل فى أطوائها من النور والهدى ، وبما يتردد فى صداها من آيات الحق، ورحمات السماء ، فى أدب علوى مشرق ، وفى أسلوب رفيق ندى، ينبض بالحنان والمودة والاشفاق على ذوى القربى أن يكونوا فى الهالكين .. « قل ما أسألكم عليه أجرا الا المودة فى القربى » !

ولكن هذه اليد الكريمة المبسوطة بالخير، الممدودة للانقاذ لم يتعلق بها الا نفر قليل من هذا العدد العديد الذى ركب رأسه ، وأعماه الغرور والكبر أن يتحول عن حال هو ضنين بها ، حفيظ عليها ، وان أوردته موارد البوار والهلاك !! ثم لم يقف هذا الغرور الأعمى وهذا الصلف الاحمق بأهله عند هذا الحد، بل لقد ذهب بهم غرورهم وصلفهم الى التطاول على صاحب هذه اليد الكريمة المعطاءة ، وأن يسلقوه بألسنتهم ، وأن يرجموه بالأذى هو ومن استمع اليه ، ولاذ به !

وهنا تدخل الدعوة الاسلامية فى طور جديد ، وتشتبك فى صراع غير متكافئة قوى المتصارعين فيه .. فالنبى والنفر القليل الذين معه يصبحون ويمسون فى تضميد جراحاتهم التي تكلمهم بها أيدى السفهاء والمتطاولين من مشيخة قريش وشبابها ، دون ان تحدثهم أنفسهم بدفع هذا العدوان الآثم الا بالصبر عليه ، واحتمال المكروه فيه ، حسبة لله ، وفى سبيل الله !

ولقد صنع الله لرسوله وللمؤمنين الذين حبستهم قريش على هذا الزاد الكريه من الضر والعنت ـ طريقا للخلاص من هذا المكروه ، وجعل لهم متنفسا من هذا الضيق الخانق، اذ فتح عينى الرسول الكريم على باب طالما كان مدخلا لأصحاب الرسالات وملجأ يلجأ اليه المؤمنون اذا أحاط بهم البلاء ، ورهقهم السفهاء والاشرار ..!

انه الهجرة والتحول من دار الهوان والضعف الى أى وجه من وجوه الارض ، يخلص فيه المرء لنفسه ، ويلتقى بوجوده ، « الذين تتوفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم قالوا فيم كنتم ؟ قالوا كنا مستضعفين فى الارض ؟ قالوا : ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها ؟ فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا ، الا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان ، الذين لا يستطيعون حيلة ، ولا يهتدون سبيلا ، فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم . »

انها معركة أرادتها قريش وعملت لها ، وألقت فيها بكل قواها المادية والمعنوية ، لتشغل الرسول عن رسالته أو تصرفه عنها ، ولتفتن المؤمنين عن دينهم أو تزعزع ايمانهم به .. والرسول وأصحابه صابرون صامدون ، حتى اذا بلغ الكتاب أجله ، وأرى الله رسوله ما أراه من أمر الهجرة دعا أصحابه الى أن يركبوا هذا المركب الوعر ، الذى يباعد بينهم وبينه ، ويحرمهم الاستظلال بظله ، واسترواح أنفاسه الزكية ، ومطالعة وجهه المشرق الوضىء ،

والذى ينتزعهم انتزاعا من ديار سكنوا اليها ، وأهل عاشوا فيهم ! ولكنه الدواء الناجع لهذا البلاء .. وان كان مرا !

وسلك المسلمون مسالكهم فى فجاج الارض ، وخرجوا عن اهلهم وديارهم ، واموالهم ، يريدون وجه الله ، ويرقبون اليوم الذى تنتصر فيه كلمة الحق ، وتعلو فيه راية الاسلام ..

والى خارج الجزيرة العربية كلها كانت هجرة المهاجرين الأولين .. فكانت الحبشة أول بلد دخله الاسلام وأوى اليه المسلمون، على بعد الشقة، وغرابة الوطن واللسان ، الامر الذى كان يشغل الرسول ، ويملأ قلبه أسى وحزنا على أصحابه الذين تكاد تنقطع اخبارهم عنه ، وان علم أنهم فى حمى كريم ، وفى ضيافة جارة رحيمة !

لهذا سعى الرسول سعيه لفتح طريق جديد قريب داخل الجزيرة العربية ليكون مهاجر المسلمين، واختار الله له وللاسلام، فشرح الله صدر أهل المدينة من الأوس والخزرج للاسلام ، فكانت بيعة ، وكان عقدا ، أعطى فيه «الانصار» لله ولرسوله وللمؤمنين مواثيق الايواء للمهاجرين ، والنصر لله ولرسوله .. ومنذ انعقد العقد ، وتمت البيعات الثلاث فى العقبة والمسلمون يخفون الى المدينة مهاجرين اليها افرادا وجماعات ، جهرا حينا ، وسرا فى أغلب الاحيان .!

أما الرسول الكريم فلم يختر لنفسه، وظل يحمل راية الدعوة ، ويحتمل وحده الضر والأذى ، وقد ذهب أصحابه ، وانفردت قريش به ، تسوق اليه كيدها وعدوانها ، لا يجد مفزعا الا وجه ربه ، والا صدر صاحبه أبى بكر ..

وخيل الى قريش ان أمر محمد قد صار الى ما تشتهى بعد أن ذهب أصحابه ، وتفرقوا فى وجوه الارض ، وضربة واحدة من يدها تكفى لاخماد صوت الداعى واطفاء نور الدعوة الى الأبد .!

وكان أن فكروا وقدروا ، ثم ائتمروا فيما بينهم على أن يبتوا « محمدا » وان يغتالوه بليل وهو فى فراشه بيد جماعة متخيرة من كل بيت من بيوت قريش ، حتى يذهب دمه هدرا ..

وهنا يبلغ الامر غايته ، وتتولى السماء الفصل فيه ، وينزل الوحى بما بيت القوم ودبروا : « واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك ، او يقتلوك ، او يخرجوك ، ويمكرون ، ويمكر الله ، والله خير الماكرين » .. ثم يتبع هذا الوحى باشارة من السماء فيها يأذن الله لنبيه بالهجرة الى المدينة ، بعد ان ظل نحو ثلاث عشرة سنة يؤذن فى قومه بالدعوة الاسلامية ، ويندبهم لحمل هذا الشرف العظيم ، فلما لم يقبلوه حوله الله الى من اختارهم له واختصهم به.. فهاجر الى المدينة يصحبه صاحبه أبو بكر الصديق ، فكان لأبى بكر هذا الشرف الاكبر فى مشاركة النبى حمل الدعوة الاسلامية الى موطنها الجديد .

وفى المدينة ، وبعد أن هاجر اليها النبى ، واصبحت مطلع الدعوة ومركزها تفتح شباب الدعوة، واكتملت لها قوتها ، فاخذ نورها يغمر الآفاق حتى فاض على الجزيرة العربية كلها ، ودخل الناس فى دين الله افواجا ، وغار الشرك ، وحطمت الاصنام ، واصبح الدين كله لله !

ويسأل سائل : ما دور الهجرة فى الدعوة الاسلامية ؟ وما حسابها فى انتصار هذه الدعوة ، وبلوغها ما بلغت من النجاح والتوفيق ؟

ان الذى كان يرصد حركة الهجرات التى سارت فيها أقدام المسلمين منذ دعاهم الرسول الى الفرار بدينهم الى أن اتخذ الرسول وصاحبه طريقهما الى المدينة ــ الذى يرصد هذه الحركة كان يرى أنها انسحاب من المعركة ، وأن هؤلاء المنطلقين على وجوههم فى وجوه الارض انما هم فلول تلك الجماعة المنسحبة المنهزمة فى غير انتظام !

تلك هى معطيات هذه الحركة كما تبدو فى ظاهر امرها ، وكما رأتها قريش ، أو كما رآها معظم قريش . وان كان بعض ذوى البصيرة والرأى فيهم يرى أنها ليست كما تبدو فى هذا الظاهر الذى يكمن وراءه الاستجماع والتوثب !

ولا نجيب على هذا السؤال الذى سألناه آنفا بتقديم كشوف الحساب لتلك الانتصارات التى حققتها الدعوة الاسلامية بعد الهجرة ، فقد ينازعنا كثير ممن يحبون الجدل ومضغ السفسطة اذا نحن اضفنا معظم هذه الانتصارات الى الهجرة ، ويقول ما يردده بعض المستشرقين ومن اليهم ممن ينظرون الى الاسلام بقلوب مريضة ، وعيون حولاء، ان انتصار الاسلام ان يكن لشىء فضل فيه فهو للسيف ، وللسيف وحده !

وندع هذا الجدل .. وننظر الى الهجرة ــ أى هجرة ــ فى ذاتها ، ومن حيث أنها سلاح رهيب ،

يخلفه المهاجرون وراءهم فيشيع فيمن خلفوهم جوا أسود ، تتمشى فيه أشباح القلق ، والألم ، والحسرة، والتفرق ، والندم !

الا فانظر في هذا الحادث ٠٠ ثم قل في الهجرة ما تقول :

« عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : ان لي جارا يؤذيني ٠٠ فقال : أخرج متاعك فضعه على الطريق !! فأخذ الرجل متاعه فطرحه على الطريق ٠٠ فكل من مر به قال : مالك ؟ قال : جاري يؤذيني ، فيقول : اللهم العنه ، اللهم اخزه ٠٠ قال ـ أي أبو هريرة ـ فقال الرجل : ارجع الى منزلك ، فوالله لا أوذيك أبدا » ٠

فهذا حادث لفرد من أفراد الناس ، تجمع له من تجمع منهم ، وحاول أن ينظر فيه ، ويحكم لصاحبه أو عليه ٠٠ فكيف بتلك الهجرة التي خرج فيها اعداد كثيرة من الناس عن ديارهم وأموالهم ٠ وأهليهم ؟ كيف بتلك الهجرة التي دخل أثرها على كل قلب ، وخيم على كل بيت في مكة ؟

لقد فارق الأب أبناءه ، وفارق الابن أبيه ، وترك الرجل زوجه ، وفارق أمه ، واخوته ، وأصدقاءه وأصفياءه ٠٠ فكم يفعل كل هذا في قريش بعد أن تمزقت القربى ، وتقطعت الارحام ، وأقفرت الديار؟

لقد عاشت قريش بعد هجرة الرسول في جو محموم ، بعد أن استبان لها أن كثيرا من ابنائها ونسائها سيلحقون بالنبي، وبعد أن سكن في نفسها هذا الغليان الذي كان يملك عليها عقلها وتدبيرها بعد أن ترك لها محمد الميدان الذي كانت تصول فيه وتجول ، فما أكثر هذه المحاورات والمواقف التي التقى فيها بعضهم ببعض فتبادلوا اللوم والتثريب ، وتناوشوا بالتقريع والتأنيب فيما كان منهم من عدوان وبغى على أبنائهم واخوانهم ، وأصدقائهم !

لقد أصبح كثير منهم يرى انه آثم في حق اهله وذوي رحمه ، وانه لن يجد لهذا المأثم مخرجا الا بعمل يعمله ليكفر به عن فعلته ، وليصلح بعض ما افسد !

حدث ابن اسحق قال : « لما أجمع أبو سلمة الخروج الى المدينة اعد بعيرا فحمل عليه زوجه أم سلمة ، وابنه سلمة ٠٠

تقول أم سلمة : فخرج بي يقود بي بعيره ، فلما رأته رجال بني المغيرة ـ أهل أم سلمة ـ قالوا له :

هذه نفسك غلبتنا عليها ٠٠ أرايت صاحبتنا هذه، علام نتركك تسير بها في البلاد ، ثم نزعوا خطام البعير من يده فأخذوني منه ، قالت : وغضب عند ذلك بنو عبد الاسد رهط أبي سلمة ، وقالوا : لا والله لا نترك ابننا عندها اذا نزعتموها من صاحبنا، قالت : فتجاذبوا ابني سلمة بينهم حتى خلعوا يده ، وانطلق به بنو عبد الاسد ، وحبسني بنو المغيرة عندهم ، وانطلق زوجي ابو سلمة الى المدينة ٠٠ ففرق بيني وبين زوجي ، وبين ابني ، قالت : أخرج كل غداة فأجلس بالأبطح فما ازال أبكي حتى أمسي، سنة أو قريبا منها ، حتى مر بي رجل من بني عمي فرأى ما بي فرحمني ، فقال لبني المغيرة: ألا تخرجون من هذه المسكينة ؟ فرقتم بينها وبين زوجها ، وبين ولدها ؟ قالت : فقالوا لي الحقي بزوجك ان شئت ! قالت : ورد بنو عبد الاسد الي عند ذلك ابني ، فارتحلت بعيري ، ثم أخذت ابني فوضعته في حجري ، ثم خرجت أريد زوجي بالمدينة ، وما معي أحد من خلق الله ٠٠ قالت : فقلت أتبلغ بمن لقيت حتى أقدم على زوجي ، حتى اذا كنت بالتنعيم ـ في أطراف مكة ـ لقيت عثمان بن طلحة ، فقال لي : الى أين يابنت أبي أمية ؟ فقلت : أريد زوجي بالمدينة، فقال: أو ما معك أحد ؟ قالت : فقلت : لا ، والله الا الله وبني هذا ! قال : والله مالك من مترك ! فأخذ بخطام البعير ، فانطلق معي يهوي بي الى أن بلغ المدينة ، فوالله ما صحبت رجلا من العرب قط أرى انه كان اكرم منه !! »

لقد غسلت الهجرة تلك الأكدار التي كانت تموج في صدور اهل مكة على النبي وصحبه بعد ان اعطوهم ظهورهم ، وأخلوا أيديهم منهم ، فعرفت قريش مدى الجرم الذي كانت قائمة عليه ، وأبصرت من دعوة الاسلام ما فيها من الخير ، والهدى ، فقامت الى الحق، وأعطت يدها وعقلها ، وقلبها للاسلام ، فكانت القوة التي استند اليها حين عصفت الفتنة بعد وفاة النبي ، وارتد كثير من القبائل العربية عن الاسلام٠٠ فقد سجل التاريخ لتلك الفترة أن كل قبائل العرب قد فشا فيها داء الردة الا قريشا فانها ثبتت على الاسلام ، ووقفت تنافح عنه ، وتأخذ بمقاود المرتدين عنه ٠

« عبد الكريم الخطيب »

هجرة ....

أقامت دولة "الفكر" في فترة مبكرة من التاريخ



بقلم: فتحي عثمان

تتطلع البشرية الى دولة لا تقوم على (حتمية) ظروف الارض والدم ولكن تعلى قدر الانسان وعقل الانسان ، فتقوم على الاختيار الحر والوعى الكامل !!

دولة تكون كل (أرض) بالنسبة اليها سواء ، وتكون كل (سلالة) بالنسبة اليها سواء ... لأنها تخاطب (الفكر) فى أى انسان ، وكل انسان !!

ولقد تمخضت هجرة رسول الاسلام من مكة الى يثرب ، عن « التجسيد » أو « التشخيص » القانونى لدولة « الفكرة » ... أو مايسمى فى أيامنا بـ « الدولة الأيديولوجية » !

كانت دولة « فكرة » ولم تكن دولة قطعة من « أرض » أو قبيل من « الناس » فرسول الاسلام لم يترك (مكة) ليعلى سلطان (المدينة) وحين أعلن الجهاد فى (المدينة) لم يكن صراعا ضد (مكة) !

لقد بدا الاسلام عالميا منذ دعا خلق الله الى عبادة الله ..

« اقرأ باسم **ربك** الذى خلق . خلق **الانسان** من علق » .

« قم فانذر . **وربك فكبر** » .

ولقد توالت آيات القرآن مكية ومدنية ، تؤكد دعوته الانسانية العالمية ، تخاطب (الانسان) مطلقا دون أى تحديد ، وتذكر (الأرض) مطلقا دون أى تحديد ، وتتسع عندها الآفاق حتى تستوعب (العالمين) !

« ان هو الا ذكر **للعالمين** . لمن شاء منكم أن يستقيم » !

وجاءت هجرة رسول الاسلام من مكة الى المدينة فاقامت دولة « الفكرة » التى يستوى فى ميزانها المقيمون فى المدينة والمهاجرون من مكة . فالكل سواء فى الاعتبار الانسانى والحقوق القانونية ... المهاجرون ليسوا غزاة مستعمرين ، وليسوا لاجئين مستذلين ... والعقيدة معروضة على كل انسان بحكم انسانيته ، أيا كان موطنه وأيا كانت عشيرته !!

وهكذا كانت دولة « الفكرة » التى تمخضت عنها الهجرة « وثبة » مبكرة كبرى فى معراج التقدم الانسانى !

« للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم ، يبتغون فضلامن‌الله ورضوانا ، وينصرون الله ورسوله ، أولئك هم الصادقون .

« **والذين تبوءوا الدار والايمان من قبلهم** ، يحبون من هاجر اليهم ، ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا ، ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ، ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون .

« **والذين جاءوا من بعدهم** يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ، ولا تجعل فى قلوبنا غلا للذين آمنوا ، ربنا انك رءوف رحيم » .

وهكذا جاءت الدولة التى أقامها رسول الاسلام فى المدينة ، تجربة حية مبكرة للدولة الايديولوجية فى التاريخ :

لم تكن دولة (مكة) او (قريش) ... ولا دولة (المدينة) او (الأوس والخزرج) ... بل كانت دولة (الاسلام) المعروض على عقل كل انسان !!

دولة التقى فيها المهاجرون والانصار ، مع صهيب الرومى ، وبلال الحبشى ، وسلمان الفارسى ، هذا اللقاء التاريخى الفريد ... فكانوا جميعا أعضاء

مؤسسين ومواطنين أصلاء فى هذه المجتمع ، وهذه الدولة ··· وهكذا تحقق الحلم المنشود ، فى ذلك الزمن البعيد !

لقد عرض رسول الاسلام دعوته فى (مكة) وفى غيرها ، على (قريش) وعلى غيرها ، فاجاب من أجاب على خوف من الطغيان أن يفتنهم ·· فلم تكن شبهة فى اسلام من أسلم قبل الهجرة عن ارادة واقتناع !

وهذه صورة معبرة ·· عن طبيعة الدعوة وظروفها ، يوردها المقريزى فى « امتاع الاسماع »

« ورسول الله مقيم بـ (مكة) يدعو الى الله ، وكفار (قريش) تظهر حسده وتبدى صفحتها فى عداوته واذاه ، وتخاصم وتجادل وترد من أراد الاسلام عنه ···

« فخرج ومعه زيد بن حارثة الى (الطائف) يلتمس من (ثقيف) النصر لأنهم كانوا أخواله ، فردوا عليه ردا قبيحا ، وأغروا به سفهاءهم فجعلوا يرجمونه بالحجارة ···

« ثم عرض نفسه على (القبائل) أيام الموسم ودعاهم الى الاسلام ··· وجعل يقول : من رجل يحملنى الى قومه يمنعنى حتى أبلغ رسالة ربى ، فان (قريشا) قد منعونى أن أبلغ رسالة ربى ؟

« وكان أحياء العرب يتحامونه لما يسمعونه من قريش فيه ··· »

وبدأت الدعوة تصل الى (يثرب) ··· ولكنها لم تلق مظاهرة حماسية من الترحيب ، ولم تكن (يثرب) لتتورط بدافع (مكة) فى متابعة الدين الجديد ··· فما أقوى مكة وقريش !!

كان رسول الاسلام يدعو الرجل ، فيقرأ عليه القرآن ، فاذا هو « لا يبعد منه ، ولا يجيب » ــ على حد تعبير مؤرخى السيرة !!

وكانت (يثرب) تلتمس أسباب القوة من (مكة) وتنشد حلفها ونصرها ، فكيف تجرؤ على مخالفتها ومناصرة عدوها ، فلقد قدم بنو الأشهل مثلا الى مكة يطلبون حلف قريش ضد قومهم من الخزرج !!

وعن طريق الدعوة ــ وعرض القرآن لا غير ··· وجد رسول الاسلام فى (مكة) أنصارا ·· لكن عددهم كان محدودا، يتزايد بالتدريج، ولكن لايصل الى (انقلاب) يخالف طبيعة الأمور ، ويخالف هدى الدين الجديد فى مخاطبة العقول ··· حتى أن بيعة العقبة الثانية التى سبقت الهجرة ، شهدت عددا أحصاه المؤرخون شخصا شخصا ، فبلغ ٧٣ رجلا وامرأتين ·· كلهم حريص على الحذر والتخفى، وهذه كلمات مؤرخى السيرة ابلغ من كل بيان « فتسلل منهم جماعة مستخفين لا يشعر بهم أحد ، وهم ثلاثة وسبعون رجلا وامرأتان ، وجاءهم رسول الله ومعه عمه العباس وهو على دين قومه وأبو بكر وعلى ، **فاوقف العباس عليا على فم الشعب عينا له واوقف ابا بكر على فم الطريق الآخر عينا له** ، فتكلم رسول الله فتلا القرآن ورغبهم فى الاسلام ··· »

وكان من أهل (يثرب) من توجس من قطيعة العلائق والوشائج مع (مكة) ··· وخشى أن يعود الرسول بعد انتصاره الى بلده وعشيرته ، ويترك يثرب تشقى بثارات الحرب !

فالصورة التى تجعل اعتناق الاسلام فى (يثرب) مظاهرة جماعية حماسية ، ليست هى الصورة التى تثبتها وقائع التاريخ ··· ان المهاجرين والأنصار ، وكل السابقين الى الاسلام ، كم ضغطوا على أعصابهم وعقولهم وفكروا مرة ومرتين ومرات قبل أن يختاروا المصير !

ودولة « الفكرة » التى أقامها رسول الاسلام عقب الهجرة ، دولة عالمية ، كما هى دولة ايديولوجية ·· فمن طبيعة « الفكرة » انها انسانية ، مفتوحة للعالمين !

وقد كانت دولة « الاسلام » عالمية فى عناصر تركيبها ووثائق تأسيسها، كما هى عالمية فى أصولها ومبادئها الفكرية العامة ···

نقرأ فى كتاب رسول الاسلام كما أورده ابن هشام مثلا ، تحديدا لـ (ايديولوجية) الدولة الجديدة ، وعالميتها ·

« بسم الله الرحمن الرحيم « هذا كتاب من محمد النبى ، بين المؤمنين والمسلمين **من قريش ويثرب ، ومن تبعهم** فلحق بهم وجاهد معهم ، انهم أمة واحدة من دون الناس » ·

انها أمة « الفكرة » يستوى فى الانتماء اليها أهل مكة وأهل يثرب ، قبيلة قريش وغيرها ممن تابع وجاهد ، وعلى هذا الأساس الايديولوجى العالمى فى تكوين الأمة تمارس الدولة سيادتها وسلطتها العليا فى الداخل والخارج ·

« وان المؤمنين المتقين **على من بغى منهم** أو ابتغى دسيعة ظلم أو اثم أو عدوان أو فساد بين المؤمنين ، وان أيديهم عليه جميعا **ولو كان ولد احدهم··· وان ذمة الله واحدة ، يجير عليهم أدناهم ، وان المؤمنين بعضهم موالى بعض دون الناس ··· وان سلم المؤمنين**

واحدة ··· وانه لا تجار قريش ولا من نصرها ، وان بينهم النصر على من دهم يثرب ··· »

ودولة « الفكرة » التى اقامها رسول الاسلام عقب الهجرة لا تقتلع عصبيات الدم والأرض لتصطنع عصبية أخرى ··· انها تفتح أبوابها لمختلف الأديان ما برئت من نزعات العدوان :

« وانه من تبعنا من **يهود**، فان له النصر والأسوة، غير مظلومين ولا متناصرين عليهم ·· وان يهود بنى عوف أمة من المؤمنين ، لليهود دينهم وللمسلمين دينهم ، الا من ظلم وأثم فانه لا يوتغ الا نفسه وأهل بيته ·· »

انها رحمة الله المهداة ··· من رب العالمين !

ويذكر التاريخ **لبنى اسرائيل** سلطانا كان يدعى انه يحكم باسم الله وقد سبق دولة الاسلام ··· لكن هذا السلطان زاحم فى أرض كنعان سكانها القائمين فيها والوافدين اليها ، واصطنع عصبية قبلية تحصر رحمة الله فى (الشعب المختار) ، وتركز المشاعر حول ! أرض اسرائيل) · وتعلن حربا دموية على العموريين والكنعانيين والآراميين والفلسطينيين · ولنستمع الى المؤرخ فيليب حتى يقرر فى كتابه « تاريخ سوريا » مدى كذب شعب الله على الله :

« كان (يهوه)اله العبرانيين وحدهم، وسيطرته كانت على أرض اسرائيل وكان يسر (يهوه) انزال العقوبات القاسية بالمصريين واستئصال العموريين والكنعانيين ـ راجع مثلا سفر يشوع ١٠ : ٨ ـ ٤٢ » ·

ويذكرالتاريخ **للفلسفة الماركسية**نزوعا الى اقامة « الدولة الايديولوجية » · الدولة التى ليست لها حدود جغرافية معينة سوى حدود الفكرة ذاتها وقد أعلنت دولة الاتحاد السوفييتى فى دستورها أن أساسها القانونى ليس (الاقليم) ولا (السكان) أى وجود معينة ، وانما تتكون الدولة السوفييتية من عدة أمم مختلفة وحدت الاشتراكية فيما بينها ، وهى دولة اشتراكية فيدرالية مفتوحة لكل جمهورية اشتراكية أينما وجدت فى أية بقعة من الأرض ، مادامت ترغب فى الانضمام والاندماج داخل الاتحاد السوفييتى ·

ولكن هذا الطابع الايديولوجى يهتز كثيرا جدا حين يختنق بمسلمات (الحتمية) الماركسية ، اذ يفنيه الاختيار الحر للفرد فى زحام الطبقة وحتمية الصراع ، ثم يضيع الاختيار الحر للفرد مرة أخرى تحت مطارق (دكتاتورية البروليتاريا) !

ولقد أدان خروشوف عهد (ستالين) ··· ثم أدانت المجر بدورها عهد (خروشوف) · قبل أن تدينه روسيا أو يدينه الحزب !

وقيام شطر اشتراكى فى دول متعددة فى أوربا وآسيا كان اعلانا لقيام عصر «الدولة الايديولوجية» كذلك ، ولكن هل ننسى الظروف السياسية الدولية التى دفعت الى ظهورها تلك الدول · وأنها كانت أغلب من أية ارادة لفرد او شعب ؟

ولقد ضاعت الأمانى الطيبة فى الدولة التى ليست لها حدود والتى تقبل كل من يشاركها عقيدتها ، أمام واقع الصراع السياسى بين الاتحاد السوفيتى ويوغوسلافيا ، ثم بين الاتحاد السوفييتى والصين ··· مهما أعطى لهذا الصراع من لون عقائدى !

و « العالم الديمقراطى الحر » بدوره تنغصه حزازات التفرقة العنصرية فى الشعب الواحد ، والحزازات الأمريكية والبريطانية والفرنسية والالمانية بل أحيانا اليونانية والتركية ، على المستوى العالمى!

وهكذا تبقى دولتك يا رسول الاسلام ··· فريدة فى التاريخ !

تبدأ من أرض وشعب ، لتخاطب الانسانية والعالم !

وتدخل يا رسول الله مكة التى اضطرتك للفرار منها بليل ·· فتسمع أن أحد أبناء المدينة ـ سعد بن عبادة ـ يدخل أحد أبواب مكة يوم الفتح هاتفا : « اليوم يوم الملحمة ، اليوم تستحل الحرمة ! » ·· فتنحيه يا رسول الله عن القيادة · لانك لا ترضى باستباحة الحرمات ، ولو كانت حرمات البلد الذى آذاك أهله وأخرجوك !

وحين تدخل (مكة) فاتحا منتصرا ··· لا تنسى (يثرب) ودورها النبيل فتؤثرها بالمقام ··· ولا تنسى دعوتك التى تدين لرب المشارق والمغارب ، والتى تجعل الأرض كلها مسجدا وطهورا !

« ولله المشرق والمغرب، فأينما تولوا فثم وجه الله، ان الله واسع عليم » ·

« انما أمرت أن أعبد رب هذه **البلدة الذى حرمها، وله كل شىء** ، وأمرت أن أكون من **المسلمين** · وأن **اتلو القرآن** ، فمن اهتدى فانما يهتدى لنفسه ومن ضل فقل انما أنا من المنذرين » !

سبحانك ربى ···

« تبارك الذى نزل الفرقان على عبده ، ليكون للعالمين نذيرا » ·

« فتحى عثمان »

الفلسفة الإسلامية
في جامعات أوروبا

الدكتور محمد مختار القاضي

١ ـ في اسبانيا

اصبحت مدينة طليطلة بعد ان استولى عليها الفونس السادس سنة ١٠٨٥ المركز الذي انبثقت منه الثقافة العربية الى باقي نواحي أسبانيا واوربا ، فقد هرع الى هذه المدينة نفر من اليهود بسبب اشتداد عبد المؤمن بن علي ، اول خلفاء الموحدين ، في تعقبهم ، فلم يلبث الفونسو ان كون في المدينة هيئة للترجمة تعرف بمدرسة المترجمين الطليطليين، واسند رياستها الى الأب رايموندو (١١٢٦ ـ ١١٥٢م) وكان اسقف طليطلة ، وكبير مستشاري ملوك قشتالة ، وكان يعمل في هذه المدرسة جماعة من الأسبان وآخرون من اليهود ، ثم لم تلبث أن نزح اليها كل متعطش للعلم في صقلية او في دول اوربا الأخرى .

وأشهر من وصلت الينا اسماؤهم من هؤلاء المترجمين دومينيكوس جنديسالفي ، ويسمى في بعض النصوص الأسبانية دومنجو جوندالد أو جنديساليوس . وكان هذا أسقفا لشقوبية واحد رجال كنيسة طليطلة الجامعة . ومنهم يوحنا بن داود الأسباني ، وهو يهودي تنصر وسكن مدينة طليطلة، ويبدو انه خلف رايموندو في اسقفية هذا البلد .

كان هذان المترجمان يعملان مجتمعين ، يملي يوحنا ترجمة النص العربي بالأسبانية الدارجة فينقلها جنديسالفي الى اللاتينية . ومن أهم ما نقل هذان المترجمان من كتب الفلسفة مؤلفات ابن سينا ، وهي كتب النفس والطبيعة وما وراء الطبيعة ، وبعض آثار الغزالي ، وهي كتاب مقاصد الفلاسفة ، ويعرف في ترجمته اللاتينية بكتاب « الفلسفة » ، وكتاب ابن جرول «ينبوع الحياة» ورسالة «العقل والمعقول» للكندي ورسالة قسطا بن لوقا البعلبكي في « الفرق بين النفس والروح » .

وترجم جيرارد دي كريمونا (القرموني) الايطالي المتوفى في سنة ١١٨٧ م ، وزميل جنديسالفي في ديوان الترجمة ، ترجم من كتب الفلسفة الاسلامية رسائل الكندي ومنها رسالة العقل والمعقول ، ورسالة النوم والرؤيا ، ورسالة الماهيات الخمس ، وشرح الفارابي على السماع الطبيعي .

ومن أشهر المترجمين أيضا ميخائيل سكوت المتوفى سنة ١٢٣٥ م وهو اسكتلندي بعثه من صقلية فردريك الثاني امبراطور صقلية والمانيا ، فترجم في طليطلة سنة ١٢١٧ م شروح ابن رشد على أرسطو (السماء والعالم ، ورسالة النفس) . ويقال انه قام بهذه الترجمة في طليطلة بمعاونة رجل يهودي اسمه اندراوس . ويقال أيضا انه جلب معه هذه الكتب من طليطلة ،ولكنه قام بالترجمة لها وهو في بلاط فردريك بصقلية بمعاونة نفر من المترجمين .

ومن اشهرهم ايضا هرمان الألماني المتوفى سنة ١٢٧٢ م . وقد اشتغل بالترجمة في طليطلة . نقل شرح الفارابي على كتاب الخطابة لأرسطو ، والشرح الأوسط لابن رشد على الأخلاق النيقوماخية سنة ١٢٤٠ م وكتاب الخطابة لأرسطو عن العربية في سنة ١٢٥٠ م ، وكانت هذه الترجمة وافية حيث جلى النص العربي وكمله بالرجوع الى الفارابي وابن سينا وابن رشد . ونقل الشرح الأوسط لابن رشد على كتاب أرسطو في الشعر سنة ١٢٥٦ م .

وترجم هرمان الدلماشي بمعاونة روبرت دي ريتنس القرآن الى اللاتينية بناء على طلب بطرس الجليل .

هؤلاء بعض المترجمين وبعض ترجماتهم ، وهنالك ترجمات أخرى لايعرف على وجه التأكيد أين عملت ومن أين انتقلت الى أوربا ، ومع ذلك فقد انتشرت فيها . ومن هذه الترجمات شروح ابن باجه ، وكتابه «تدبير المتوحد» ورسالة «حي بن يقظان» لابن طفيل ، وشروح ابن رشد على مؤلفات ارسطو وآراء محيى الدين بن عربى الصوفى ، وكتاب موسى بن ميمون «دلالة الحائرين» الذى عاش بين سنتى ١١٣٥ و ١٢٠٤ م . وهو كتاب وضعه بالعربية وترجمه بنفسه الى العبرية ثم ترجم ثلاث ترجمات أخرى على الأقل .

***

وجماعة أخرى من المترجمين اليهود قصروا جهودهم على الترجمة ، حبا في المال والحظوة لدى البلاط النصرانى الطليطلى . ومن هؤلاء يعقوب الأنتولى الطليطلى ، ويهودا بن سليمان كوهن من طليطلة وشم طب بن يوسف فلقرى ، وقد نقل هذان الأخيران مؤلفات ابن رشد الى العبرية ، وشرحها ليون ابن جرشون .

كان لهذه التراجم فضل في انتشار الثقافة الاسلامية ، وخاصة الفلسفة ، فى كل من اسبانيا ودول أوربا الأخرى ، وكان لها تأثير شديد فى اتجاهات قرائها ، معارضة لها او تأييدا . ولكن من الحقائق المقررة على أى حال فضل مؤلفات العرب على المفكرين الاسكولاستيين (معلمى الفلسفة فى الجامعات الأوربية) فاما من كان منهم على مذهب ارسطو فنجد عنده آثار ابن باجه وابن طفيل وابن رشد خاصة . واما من اتجهوا منهم اتجاها افلاطونيا حديثا فنلمح فى تآليفهم آثار ابن مسره وابن جرول ومحيى الدين بن عربى .

***

ولقد تأثر بمؤلفات المسلمين كثيرون من الأوربيين ، بل تأثر بها نفس المترجمين ، ونذكر مثلا لذلك جنديسالفى اسقف شقوبية الذى سبق ذكره . هذا الأسقف الذى توفى سنة ١١٨١ له كتب عدة اهمها « خلود النفس » وهى رسالة وجيزة استقى معظم آرائه فيها من ابن سينا فى طبيعيات « الشفاء » فقد ميز الادراك الحسى والادراك العقلى ، ورد ادراك المعقولات الى انفعال النفس بها عن عقل فعال مفارق كما قال ابن سينا ، واخذ آراءه الأخرى عن ابن جرول وارسطو . وكتابه هذا صار مرجعا لمن جاءوا بعده . وله كتاب « تقسيم الفلسفة » وقد أخذه بتصرف عن كتاب الفارابى « احصاء العلوم » وعن ابن سينا واسحاق الاسرائيلى وبويس وايزيدور الأشبيلى وارسطو . وفى كتابه هذا يميز بين اللاهوت الصادر عن الوحى ، وبين الفلسفة المكتسبة بالعقل ، ويجعل الفلسفة علما شاملا لكافة العلوم الأخرى . ومع ذلك فيؤكد الكاتب المستشرق دى بور فى تعليقه على هذا الكتاب انه بمقارنته لنصه بالنص اللاتينى لاحصاء العلوم للفارابى ظهر له أن الخلاف بين النصين يكاد يكون معدوما (كتاب دومينيكس جنديسالنوس وتقسيم الفلسفة ، للدكتور ل . بور) .

ولهذا المترجم كتب أخرى فى صدور العالم ، والوحدة ، والنفس . وهو فى مذهبه متخير بين الفلاسفة الآخرين .

***

ومن الذين تأثروا من الاسكولاستيين الأوربيين بالفلسفة الاسلامية ريمون لول ، وهو فيلسوف متواضع ولد بجزيرة ميورقه فى أسرة غنية سنة ٦٣٢ هـ (١٢٣٥ م) وعندما بلغ من العمر ثلاثين سنة رأى السيد المسيح فى احدى الرؤى ، ثم تكرر ذلك ، كما يقول ، فعلم أن المسيح يطلبه للتوفر على خدمة الدين فأجاد اللغة العربية واللاتينية والمنطق ثم طوف فى البلاد ، فذهب الى باريس وعلم بها كتابه الفن الأكبر وجادل الرشديين ، وكان شديدا فى جدله فسجن فى تونس ثم فى الجزائر ، وفى الجزائر رجمه الجمهور بالحجارة فآواه أهل جنوه ، وقضى قبالة شاطىء ميورقة بقية عمره الى أن مات سنة ٧١٤ هـ (١٣١٥ م) . وكان ريمون هذا متمكنا من اللغة العربية ، يجادل بها ويؤلف وان لم يعثر على مؤلفاته العربية . واهم كتبه الفن الأكبر او الفن الكلى ، وله كتب فى المنطق وفى الرد على ابن رشد والرشديين . وللول كتاب سماه الكافر والعلماء الثلاثة ، ثم صاغه تحت عنوان آخر « التترى والنصرانى » وكتاب المجاوات الفه على نسق كتاب كليلة ودمنه ونظم باللغة القطالونية منطق الغزالى وكتابا آخر فى الجوهر والعرض .

تأثر لول بالمدرسة الأفلاطونية الحديثة والصوفية الاسلامية ، وكانت فيه رقة ظاهرة للمسلمين ، ولذلك كان يقلدهم ، فهو يستهل رسائله باسم المسيح كما يستهل المسلمون رسائلهم باسم محمد صلى الله عليه وسلم . وكان يرى أن تتلى أسماء الله فى الكنائس كما يتلى القرآن فى المساجد ، وكان صديقا لطائفة من الصوفيين المسلمين كابن سبعين وابن هود والششترى الزجال الذى كان الصوفية يتغنون باشواقه فى أزجاله وموشحاته ، وابن مدين، والعفيف التلمسانى . ولكنه تعلق تعلقا شديدا بمحيى الدين بن عربى، وهو يقرر فى كتابه «بلا نكرتا» انه ألف كتابه الآخر « الصديق والمحبوب » على طريقة الصوفية ، وربما يكون قد ألفه على نهج « ترجمان الأشواق » لمحيى الدين بن عربى . ولقد أخذ لول عن محيى الدين بن عربى تعاليمه الأساسية ، فالعلم عند كليهما واحد ، هدفه البحث عن «الواحد» ، ويدرك العلم عن طريق الايمان أو عن طريق العقل ، فاذا عجز التفكير الفطرى كشف الله عن كنوز العلم لعباده عن طريق الاشراق .

واستعمل لول نفس اصطلاحات ابن عربى بالحرف فهو يذكر لفظ التورين ، والذوق المريض ، وقال لول كما قال محيى الدين بالحضرات مثل الربانية والرحموت والعزة . ويرى لول (أو لوليو) أن الرمز الى الذات الالهية بشىء لا يصح ، لأن الرموز لا تناسب الذات الالهية ولكن « النور » سائغ ان يعبر به عن الذات الالهية وان كان أقل الصور الرمزية المعبرة عن كمالات الله . وعن ابن عربى أخذ لول طريقته فى الرمز بالحروف للتعبير عن آراء فيما بعد الطبيعة . وأخذ مصطلح ابن عربى الخاص فى الصوفية ، لأن الآراء الخاصة بعلوم التصوف الالهية ، كما يقول ، انما تتحصل عن طريق الذوق الصوفى لا عن طريق العقل .

ومن الأسكولاستيين رايموند مارتن ، وهو قس دومينيكى قطالونى عاش بين سنتى ١٢٣٠ و ١٢٨٦ م ، وكان كمعظم الاخوان الدومينيكان عدوا للفلسفة الاسلامية ، ومن أكبر خصوم المسلمين ، لا يفوقه من طائفته فى هذا العداء الا الأخ توما الأكوينى المعروف بالقديس توما الأكوينى . اجتهد رايموند مارتن فى تعلم اللغة العربية حتى أتقنها ، كما يدل على ذلك القاموس اللاتينى العربى المنسوب اليه . ثم وضع كتابه « خنجر الايمان ضد المسلمين واليهود » وهو كتاب لا يفوقه فى الطعن على المسلمين الا كتاب « جامع الحجج فى جدال الكافرين » للأخ توما الأكوينى . ووضع رايموند كتابا آخر سماه « شرح الرمز » وقد أورد فى هذا الكتاب وفى سابقه نصوصا للغزالى انتخبها من كتاب التهافت، والمقاصد، والمنقذ ، والأحياء ، ومن كتابات الفارابى وابن سينا ، ومن شروح ابن رشد على فلسفة أرسطو ، وعلى أرجوزة ابن سينا ، ومن فصل المقال وتهافت التهافت ، وما وراء الطبيعة ، ورسالة الى صديق . ومن كتاب فخر الدين الرازى المسمى « الرد على جالينوس » وكتابه « المباحث المشرقية » هذا الى ما أخذه عن القرآن وصحيح البخارى .

ومن الملاحظ أن خصوم الاسلام لم يلجأوا الى كتب الغزالى حبا فيها ، ولكن ليردوا بها على فلسفة المسلمين لأن شهادة الغزالى على هؤلاء أوقع عندهم فى الدلالة ، ومع ذلك فقد سطا هؤلاء المستشهدون بآراء الغزالى ضد المسلمين ، على هذه الآراء ونسبوها لأنفسهم .

دكتور محمد مختار القاضى

دراسة في فكر منحل !!

بقلم : محمد جلال كشك

اقر واعترف .. ولا يعيبني ان اعترف .. فالذي خفت منه يثير الخوف حقا .. والذي قلقت له يبعث على القلق حقا ..

وأي انسان لا يقلق ولا يخاف .. وقد فاجاه الذي فاجاني .. يوم امسكت « روز اليوسف » واذا بها حكم صادر وله حيثيات ! ..

حكم بضم مجلتي « الرسالة والثقافة » من أجل تغيير الفكر المحرك لهما (لاحظ « محرك » هذه) .. وأمل من القاضي ذي الحيثيات (شأن القضاة في محاكم الأحداث ، عندما يوجهون النصح للطفل المعوج !) في ان تواكب المجلة الجديدة ، فكرنا الاشتراكي .. يعني اننا لم نواكب .. ولا حول ولا قوة الا بالله ! .. وان كنت اكره « يواكب » هذه ، فليست موكب .. وكنت اظن الاشتراكية (بجهلي) .. كفاحا وطلائع وزحفا مقدسا .. فاذا بها موكب ! .. من الناس من يواكبه .. ومنهم من لا يواكب !

وكمواطن صالح فقد قررت ان « اواكب فكرهم الاشتراكي » حتى تتجنب احكام الضم وما يسبقها من حيثيات !

وتساءلت .. ما الذي تأخذه علينا مجلاتهم ؟ .. وما الذي استدلت به على عدم مواكبتنا ؟ .. ورحت اراجع الحيثيات فلاحظت – من بين ما لاحظت – انهم ينتقدون المجلتين لهجومهما على اللورنسيين !

ت . لورنس ، رجل المخابرات البريطانية ، الذي غرر بالعرب ، وقاد مع نوري السعيد وأمثاله زحفا لخدمة المصالح الانجليزية ، افضى الى وقوع آسيا العربية تحت الاحتلال البريطاني والفرنسي .. وتسليم فلسطين لليهود .. وأيضا تخريب الثورة العربية .

ولست اظن ان هجومنا على لورنس هذا ، يستطيعون له دفعا ، أو يملكون لنا فيه نفعا .. فليس لديهم في هذا الأمر الا التحسر على انقراض فلسفة البعث !

اذن لم يبق الا د . هـ . لورنس .. الذي جعل الجنس علما وفنا ودينا .. الخ .. الخ .

وصحيح اننا لسنا ضد الجنس ، بل بالعكس نفخر بان امتنا العربية ، قد عالجت الجنس بلا عقد ، ولا شعور بالاثم .. بل تناولته في حياتها وفي فكرها ببساطة ، كما تناولت سائر العلاقات البشرية فليس الجنس هو العيب .. ولكن العيب هو تحويله الى دعارة .. والى مادة للاتجار والكسب الرخيص ، وابتزاز الغرائز ، واستجداء القراء .

اذن فنحن نختلف على طريقة معالجة الجنس .. والموقف منه .

ولما كان النقاش حول لورنس لا يجدي .. فلا هم يقرأون بالانجليزية ، ولا لورنس ترجم للعربية (بالذات الاجزاء التي سيدور حولها النقاش ولا تمكن ترجمتها) ولا نحن نقبل ترجمتهم عن الاسبانية ! .

اذن فلا سبيل امامنا ، ان اردنا ان نخفف من رجعيتنا ، ونتخلص من تخلفنا ، ونواكب فكرهم الاشتراكي .. الا بدراسة الجنس كما تقدمه مجلات دار « **روز اليوسف** » .

ولا بأس في أن تتعلم .. فنحن قد أمرنا بطلب العلم من المهد الى اللحد .

وهكذا .. وفى لهفة الطالب المجد .. اختطفت أول شيء وقعت عيناى عليه .. وكان العدد الأخير من « صباح الخير » (٢٩ ابريل) .. وليس أسهل من العثور على الجنس فى مجلاتهم .

امرأة تعترف ! ..

عظيم .. هاهو درس بالشرح ! ..

« الى ان قابلته .. فوجدت فيه كل ما افتقدته فى زوجى .. حنان .. واهتمام .. وحب .. ورقة فى المعاملة .. وتعاطف .. وانسجام » ، « وكنت كلما ازددت منه قربا .. ازددت من زوجى نفورا .. حتى انى بعد عدة شهور .. لم اعد اطيق ان انام مع زوجى فى فراش واحد » .

« ثم فاجأتنى الأيام بوفاة زوجى فى حادث .. وحزنت عليه (والله أصيلة !) ولكن بعد موته بدأت اشعر بحرية أكثر وبراحة أكثر (!!) وتوطدت علاقتى بحبيبى أكثر وأكثر .. ولم أعد أشعر بحرج وأنا أقابله وحدى فى شقته الخاصة .

لم أعد أشعر بالخطيئة (انا لله وانا اليه راجعون) وهو يحتضننى ويقبلنى .. كنت أشعر انه رجلى وان كل هذا من حقه .. وان من حقه أن ينال منى أكثر (!) ..

وفى احدى المرات .. ظللت أثيره (أى والله !) .. وفى تلك المرة لم أدعه يخرج .. لدرجة انه ضربنى غاضبا .. وبعد أن ضربنى .. لا أدرى كيف حدث أن أعطيته نفسى .. ولم أشعر بالندم .. ومرت بنا الأيام والشهور والسنوات ..وعلاقتنا تتوطد أكثر وأكثر .. ولكننا لا نذكر أبدا الزواج » .

ثم تشكو السيدة من أن الرجل لايريد أن يتزوجها وانه بعد ست سنوات من علاقتهما وافق على أن تخطب له هى أخرى يتزوجها .

وأقفلت المجلة .. وقلت .. امتحن « فكرى الاشتراكى » .. لأرى هل أنجح فى المواكبة أم لا ..

قلت : لو جاءتك هذه المشكلة .. وقد أعطاك الله والشعب والاتحاد الاشتراكى .. مجلة تكتب فيها ، وتوجه الناس فماذا تقول :

وعقليتى « رجعيتى » فقلت أخاطب المرأة :

« انت زانية .. عشقت غير زوجك وانت محصنة .. تستحقين الرجم .. ووفاة زوجك فى حادث تثير الشك وتستدعى اعادة التحقيق فى مصرعه .. وستبلغ النيابة .. واعترافك بممارسة الزنا مع عشيقك لمدة ست سنوات ، يوجب عليك ، الجلد ، شرعا .. وعدم احساسك بالخطيئة دليل انحلال خلقك ، وتفسخ قيمك .. وفى الشرع أن استحلالك للزنا كفر وردة عن الاسلام .

وانك على أية حال ، وصمة عار فى جبين مجتمع عربى اسلامى ، وظاهرة متخلفة فى مجتمع اشتراكى ،تظنين ان عشقك وفجورك هو كل مايشغل بالنا ، حتى تسود فى جريمتك وانحلالك صفحة كاملة يدفع الشعب المصرى ثمنها حبرا وطباعة .. وورقا يستورد بالعملة الصعبة ، ورواتبا للمحرر يبلغ اضعاف ما يتقاضاه خمسة من بحاثنا فى الذرة ؟! .. بل تدفع أيضا من سمعتنا بين الشعوب العربية والاسلامية .. كل هذا من أجل زوجة خائنة ، وعشيقة شاذة ، تدفع عشيقها للزنى معها ولو بالضرب .. ثم تزوجه غيرها ! لو كان الأمر بيدنا لادخلناك اصلاحية النساء ، ولفتشنا فى تاريخ حياتك لنكتشف أى بيئة فاسدة أنجبتك .. لنعمل على ازالتها .. » .

هكذا تصورت الاجابة الصحيحة .. وفتحت عينى لأعرف الحل .. وللأسف ! وجدت أننى .. صفر على عشرة !

المجلة الفاضلة ترد عليها :

« انها المشكلة الأليمة المعتادة (معتادة جدا فى بلادنا !) قصة الحب (أهذا حب ؟ !) التى تطول سنوات وسنوات ، ولا تنتهى الى زواج لأنها أحرقت نفسها ، وأعطت كل ثمارها .. ولم يعد هناك جديد ينتظره الرجل بالزواج » .

ثم نصيحة بأن تعطى المرأة للرجل بمقدار .. بالتقسيط !!

أهذه نصيحة مفكر اشتراكى .. أم نصيحه ؟!

استغفر الله العظيم !

وبكل همى وغمى ، وتحسرى على عقليتى « الرجعية » رحت أقلب الصفحات ، لأواريها فورا

.. خوفا أن تسالني زوجتي أو طفل عن معنى هذه « النكتة » ومدى مواكبتها لفكرنا الاشتراكي !

زوج وزوجة في الفراش .. (مع ان تصوير رجل وامرأة في فراش واحد ممنوع في معظم الأفــلام الأجنبية ..) ثم ثلاثة طوابير من أطفالهم يجلسون محملقين في اتجاه الفراش حيث ينام الأب والأم .. والأب يقول : « يا عيال ناموا بقى .. كل ليلة تسهروا للصبح بالشكل ده .. ليه ؟ »

من يرضى أن تكون القيم العائلية محل امتهان على هــذا النحو ؟ .. من يرضى أن يستدر ضـــحكات وغرائز الجمهور ، بوضع الأطفال في نكتة جنسية مع الوالدين ! .. من يرضى أن يقال على لسان الأب .. ان أطفاله يسهرون حتى الصباح في طابور ليتسلوا برؤيته في الفراش مع أمهم ؟! ..

اشرحوا لنا هدفا اشتراكيا واحدا من امتهــان اقدس العلاقات على هذا النحو .. من حشد الأطفال صبيان وبنــات ! .. امـــام فراش الوالدين ! .. اقنعونا بهدف واحد يتحقق من ذلك ، ونحن «نواكب فكركم الاشتراكي » وتغلق مجلتي الرسالة والثقافة بالضبة والمفتاح وعليهما مجلة ثالثة لو أحببتم ! .

« ولفكرهم » الاشتراكي الذى لا نواكبه ، ولع خاص بوضع الأبناء والوالدين في مواقف جنسية .. رضـــيع يلعب الكورة بثدى أمه ! .. وبنت تضبط امها في حالة زنا مع عمها .. ولا يكتفون بالاشارة بل لا بد من التاوهات !

ولا بأس من نقلها .. ومعذرة يا قراءنا المحترمين والذين انتم في غالبيتكم من اهل الريف ، كمـــا تفيد تقارير روز اليوسف ! ..

معذرة فسننقل لكم من أدب أهل الحضر ! ..

« ونمت ! ولست أدرى متى استيقظت .. ولكن الظلام كان ســـائدا .. عندما فتحت عيني في النهاية .. وذلك الصوت يتردد في أذني .

صوت غريب ! كحشرجة تأتى من خلف البــاب المغلق .. وتأوهات مكتومة .. كما لو كان انسان يتعذب .. وأحسست بالرعب يتسلل الى قلبي .. وبجسدى كله يرتجف .. ولكن ذلك الصوت استمر يتسلل الى أذني من خلف الباب المغلق .. فنهضت أخيرا .. نهضت وأنا ارتعش لأفتح الباب في هدوء .. وأتسلل الى الخارج أبحث عن مصدر تلك التأوهات .. واقتربت منها أنصت قليلا .. نعم ! .. كانت تلك الأصوات تأتي منها بين الحين والآخر .

وعندئذ بدأت أخاف أن يكون عمى روبرت مريضا يتـــألم فمددت يدى أفتح البـــاب .. وانظر .. ورأيتها .. »

ثم تصف الابنة الصغيرة كيف رأت أمها :

رأيتها على السرير عارية ، ورأسهــــا ملقى على الخلف . وشعرها الاسود الطويل يخفي جـزءا من وجهها .

ومن فمها .. كانت تخرج تلك التأوهات ممزوجة بحشرجة غريبة .. وقبل أن أصرخ .. لمحت ذلك الشيء الأبيض فوقهـــا (أى والله هــكذا بالحرف الواحد) .

توقفت في مكاني ارتجف وأنا لا أدرى ما الذى يحدث .. وفجأة رأيتها تصرخ وهي تهتف :

ـ يا حبيبي .. يا حبيبي ! ..

وتحرك ذلك الشيء الأبيض .. وعندئذ عرفته .. كان عمي روبرت ! ولكن وجهه كان غريبـــا محتقنا ، وكان جسده كله يرتعش ويرتجف » .

ويذهب اليها عمها في غرفتها :

« وجاء واخبرني انه يحب أمي ، وانها أيضـــا تحبه ، وطلب مني ألا أذكر شيئا لأبي عندما يعود » (روز اليوسف العدد ١٩٠٥) .

اننا كمجلة « سلفية » نؤمن بوجود مقدســـات لا يجوز العبث بها ولا الســـخرية منها .. ولا ابتذالها ، ولن نقول ان الميثاق والدستور اعتبر الأسرة أساس المجتمع .. بل نقول انه حتى في أكثر الشعوب بدائية لا يسمح بامتهان الأمومة على هذا النحو .. بل لا نرى صـــورة واحدة ولو في كهوف الانسان الحجرى في اسبانيا .. (وهم خبراء في الشئون الاسبانية) يجتمع فيه الوالدان أمام الأطفال ! ..

ولكنهم « بفكرهم المفتوح » لا يعترفون بمقدسات .. حتى طبيب الأمراض النسائية .. ينظر بخبث للمريضة وهي تسأله « بقى لى خمس سنين متجوزة

وما خلفتش ، فيسالها ٠٠ ليه ؟! وخمس علامات استفهام !

واذا خطر لباحث بعد مائة سنة أن يعتمد على كاريكاتير مجلات « روز اليوسف » ليدرس أخلاق المجتمع المصرى فى هذه الفترة ٠٠ فانى أتخيله يكتب فى دراسته ٠

الرجال كانوا غالبا مستلقين على ظهورهم يتطلعون فى نذالة ، من تحت ثياب النساء الى أجزاء الجسم التى كانت تسمى عندهم ٠٠ **عورة** ٠

فالجريح مطروح على الأرض ، يتطلع الى داخل ثياب سيدة ويرفض أن يأتوا له بالاسعاف ٠٠ حتى لا يحرم من النظر ! ٠٠

ويلاحظ ان السيدات كانت تسر جدا من هـذا الفعل ! ٠٠ ففى العدد ١٩١٩ من روز اليوسف ٠٠ سيدة تقف فوق بلاعة يطل منها راس رجل ، وثوب السيدة طائر بفعل الهواء ، حتى لتبدو فى الصورة ثيابها الداخلية جدا ٠٠ وهى ترفض التحرك من هذا الوضع الفاضح متعللة لصديقتها بانها غير قادرة على التحرك من شدة الهواء !

وسيقول الباحث : انهم رغم دخولهم مرحلة الانطلاق ، ورغم الانجازات الهائلة التى حققوها ٠٠ فان صناعة السينما عندهم استنادا لمجلات روز اليوسف ــ وبرغم القطاع العام ، كانت تقوم على شبه بغايا ٠٠ يعرضن أجسادهن على المخرجين والمنتجين ٠٠ والممثلة لا تملك ما تعرضه الا أردافها (روزا ١٩١٣) ٠٠ واكتشاف الممثلة عندهم يعنى ٠٠٠ (ويخجل الباحث بعد مائة سنة من ذكر المعنى الذى تكرره مجلات روز اليوسف ، مهينة به الفنانات معرضة بالفنانين ولا ندرى لماذا ؟) ٠

وقد لاحظت : (يقول الباحث) انه لا يكاد يخلو عدد من نكتة عن الأرداف ! ٠٠ وهم يحرصون فى رسمها على احاطتها بأقواس لتاكيد اهميتها ! ٠٠ ولم استطع أن أفهم المغزى الاشتراكى من التركيز على هذا الجزء من جسد المرأة !!

ويلاحظ ايضا أن جميع الخادمات على علاقة مع صبيان المكوجى ٠٠ وبلغ من اهتمامهم بمكافحة هذه الظاهرة انهم لم يتورعوا حتى عن السخرية بالصيام ٠

فالخادمة تقول : لا يا سيدى ٠٠ مقدرش أنزل عند المكوجى ٠٠ أنا صايمه ! » (صباح الخير ٤٧١)٠

وكانوا يعيشون فى تحلل جنسى عجيب ٠٠ فالزوجة تهدد زوجها علنا ٠

ــ اذا كنت مش ح تقدر تشترى لى الفستان ٠٠ أنا أتصرف واشتريه ، ٠٠ وتنظر بمؤخرة عينها نظرة فاضحة لرجل يتابعها ٠٠ كتب عليه للشرح والتوضيح : عجوز وغنى ! ٠٠

وامرأة أخرى تقول بصريح العبارة انها تضع كل يوم خمسة جنيهات فى صندوق التوفير ، ٠

وطلبة الجامعة يقبلون « بعض » على سلالم الجامعة ، والطالبات يدخن السجائر فى المدرجات ! ٠٠ ويخرجن فى رحلات بسيارات خاصة ، ويحاول الطلبة اغتصاب الطالبات ٠٠ الخ ٠

وكنموذج للغة التى كانت مجلاتهم تتعمد ترويجها لرفع المستوى اللغوى والخلقى وتدعيم الوحدة العربية أنقل هـذا النموذج من قصة رجل يأكل المنخنقة ويزنى بحليلة جاره كل ليلة !

ــ أنا هفتح بطنك !

ــ يا دهوتى ٠٠

ــ أنا هشرب من دمك ٠

ــ يا مصيبتى يا ناس ٠

ــ هكسر نافوخك !

ــ الحقونى يا أهل الخير ٠

ــ مسيرك تقعى فى ايدى وأموتك ٠

ــ حرام عليك يا عبده والنبى مظلومه ٠

ــ هكسر عضامك ٠

ــ آه يانى ! ٠٠

أقر واعترف اننى عاجز عن مواكبة فكرهم هذا ٠٠ وأما مجلة الرسالة فأشرف لها أن تصمت فلا تنطق أبدا ٠٠ عن أن تردد هذا اللغو ٠

لكن « **الرسالة** » لن تسكت ٠٠ وفكرنا الاشتراكى سيزدهر ويثمر ٠٠ لأننا نعرف ان ثورتنا هى ثورة بناء ٠٠ ثورة اشتراكية عربية اسلامية ٠٠ ولا تبنى الامم على الانحلال ، والعبث بالمقدسات وامتهان كل شيء ٠٠ وامتهان الجنس فى حد ذاته أمر خطير ٠٠

ولا تبنى الأمم على الجد ٠٠ فقد كان رسول الله يمزح ولا يقول الا حقا ٠٠

« **محمد جلال كشك** »

درس من الهجرة

للشاعر: محمد عبد الغنى حسن

ايها المتنقل المرتحل !   فى سبيل الله هذا المثل ؟
لا تضيق الأرض يوما بامرىء   قلبه فى دينه مشتعل . . .
قل لمن قد رحلوا عن أرضهم   لستم اول قوم رحلوا . . .
لكم الأسوة عند « المصطفى »   ولكم فيه المثال الأمثل . . .
ابن عبد الله لم يصبر على   عنت الأهلين لما استرسلوا . .
ترك البيت وما فيه الى   منزل شدت اليه الرحل
ما مقام الحر فى اوطانه   ان جفا الأهل ، وجف المنهل ؟
لو نبا المنزل يوما بامرىء   فله، فى كل صقع منزل
فى رحاب الأرض ، فى اكنافها   موطن متسع او موئل
ان فى الأرض مكانا ثانيا   لو نبا عنك المكان الأول . . .
يا ابن عبد الله . هاجرت على   موسم نيرانه تشتعل ..
وهج الصحراء فيه جذوة   ولهيب القيظ فيه شعل
ليس « تموز » هنا محتملا   كيف فى بادية يحتمل ؟
انت « والصديق » فى الدرب الذى   لم تكن تفضى اليه السبل
لكما فى القيظ يوم قاعد   وعلى الليل طريق موغل
وعيون القوم من خلفكما   زاغ منها لحظها والمقل
هى فى اثركما باحثة   يتعناها السواد المقبل
علها تشفى الذى فى صدرها   ومن الأحقاد ما قد يأكل . . .
او لعل (النوق) اغرت طامعا   بات فى جعل قريش يأمل
لعل المال ... اذا ما اشتريت   ذمم منه ، وبيعت مثل ! !
لك فى الغار على وحشته   انس فى جوفه مكتمل . .
جاء فتيان قريش نحوه   وبأيديهم يموج الأسل ..
همهم لو ظفروا منك بما   يشتفى الحقد به والدخل
سألوا كل حصاة عنكما   والحصا – والله – منهم اعقل ! !
من يكن حارسه الله ، فما   لعدو فيه يوما مأمل
كنت فى الغار على بينة   انك الآمن مهما فعلوا . . .
ثقة أن الذى ينصره   قاهر الطغيان لا ينخذل ...
فزع « الصديق » لما سمعت   اذنه فى الغار صوتا يسأل
لم يروا بالقرب الا راعيا   سألوه ... وهو منهم اجهل ...
« وابو بكر » على صاحبه   مقبل خوفا ، فلا ينفتل ...
يلصق بالنفس من صاحبه   وهو بالله هنا منشغل ..
وقفة فى الغار ما اروعها   صورة الدنيا بها تكتمل
التقى الانسان فيها خائفا   والتقى فيها النبى المرسل ...
أيها البادىء فى هجرته   وحدة فى الصف لا تنفصل !
شهدت « يثرب » مذ وافيتها   للتآخى موقفا لا يغفل ...
انت « آخيت » لمعنى حافل   فيه للأمة معنى احفل ..
لم تكن تقصد فيه حاضرا   قصدك الحاضر والمستقبل ...

حول الأدب

بقلم عبده بدوى

هجرة جديدة

لا يهمنى الا وجهك احدق فيه من وراء السنين ، فمنه ارتوى واقتات وآخذ زادى الى رحلة الحياة ، ولن يستطيع احد أن يلوى وجهى عنك ، أو يشدنى عن الحضور فى مجلسك ، أو يثقب عمرى ليتقاطر منه حبك ، أو يسد أذنى عن أن تسمع اسمك مقرونا باسم الله ــ والفجر يبعثر النور ، والظهيرة تلم العرق ، والعصر يتمايل بين النسمات ، والمغرب يبذر السكينة ، والعشاء تجعل السكينة يزداد ازدهارها وتضرب بمجاديفها السمراء ليصل الانسان الى مرفأ الراحة ، وواحة العبير ، وجزيرة الصمت !

واذا كانت معرفتنا بك فى الماضى قاصرة على رؤيتك كنافورة نور فى الصحراء ، فان مرور الأعوام قد علمنا أن هذه « المظلة » من النور قد أخذت تنبثق من كل قلب ، ولهذا لم نعجب ونحن نرى قوافل النور هذه تغطى على كل حضارات العالم القديم ، ثم تعدل من وضع الانسان فى الحياة حين تضعه بين المسئولية والحرية ، وحين ترفع عنه كافة الوصايات الأرضية ، وتجعله الملك المتوج على أسرة الوجود ، بحيث يصبح كل شىء مسخرا له وزهرة فى حديقته !

ولقد كان الانسان فى الماضى يحس أنه يعيش فى « غربة » وأنه معزول عن الحياة ، وأن الحزن لا بد أن يطرق فى كل يوم بابه ، ولكنك اقبلت فعدلت من وضعه فى العالم وحولته الى ما يشبه البذرة التى لا تلمس الأرض حتى تتململ، ثم تتحرك، ثم تموج بالخصب والاخضرار .. نعم فقد كرهت « العقم » فى كل شىء ووضعت كلمة جديدة فى حياة الانسان وهى « **الخصب**» فلا بد للانسان أن يكون نافعا ومثمرا ومتطورا فى عطائه ، ولقد أعطيت المثل من هؤلاء الذين كانوا جافين ومعزولين ومعروقين ، فاذا بهم ينفضون عن عباءاتهم الرمل والملل ، واذا بهم بعد سنين قليلة يخوضون فى المحيط الأطلسى ثم يعتذرون الى الله بانه لا توجد أمامهم أرض يمكن أن تتحرك فوقها خيولهم ، ثم اذا هم بعد ذلك يخوضون البحار،

ويســـورون حدودهم بالمآذن في آســـيا وافريقية واوربا ، ثم ينزلون عن أفراسهم فترة ليصبحوا بحق آباء العلم الحديث على حد تعبير جواهر لال نهرو .

وبالرغم من أن العقم قد حولهم فترة الى وجـوه جافة ومعزولة ومعروقة ــ لتحولهم عنك ــ الا انك الوحيد بين النبيين الذى تزداد رقعة نفوذه يومـــا بعد يوم ، فأنت تبدو دائما وكأن فى يديك مصير العالم ، وحتى فى أحلك الفترات كان يبدو نورك ثابتا فى مكان ما فى الأرض ، والذى ينقب فى التاريخ يدرك زيف الأسطورة التى تتردد بأن الحضــــارة الاسلامية اختفت فى فترة من الفترات ، وبالتحـديد فى القرن الرابع عشر الميلادى ، ذلك أن الذى لا شك فيه ان هذه الحضارة لم تختف ابدا ، ويكفى فى محيط افريقية ان نذكر عشر دول اسلامية متحضرة فى اطار زمنها فيما وراء الصحراء الكبرى ، أمـــا فوق الصحراء فقد ازدهرت دول عديدة فى اطارات ثلاث تتمثل فى الآخذين بآراء السنة ، والشـــيعة والخوارج .

وهكذا لم يتوقف نور وجهـــك **ــ يا اســـتاذ البشرية ــ** عن الانداياح فى الســهول ، والتعلق فى المرتفعات ، والانصهار فى الشـــمس الاستوائية ، والشفافية فى البلاد التى لا ترى الشمس الا قليلا !

ومن هنا نريد أن نؤكد أن يد الله كانت تحمى المصباح والرياح تعصف به ، وان شـــعلة هـــذا المصباح وان كانت قد ارتعدت فترة من الزمن الا أنها لم تنطفىء أبدا ، ذلك لأن بهـا عنصرا سماويا يتمرد على الفناء ، ولأن هذا العنصر يقوى يوما بعد يوم ، ويزيد رقعة النور من حواليه ساعة بعـــد ساعة !

❋ ❋ ❋

وعلى كل فالذى اريد أن اصل اليه هو عدم تجزىء العالم الاسلامى حين الحديث عن دور الاسلام ، وهو اعادة الثقة بالحضارة الاسلامية ــ بعد أن اثخنت من الأعداء ــ وبدورها الضخم الذى يمكن أن تؤديه فى هذا العصر ، وبالعمل على ازالة الى حياة الجماهير التى تعتبر السند الحقيقى له ، ونظرة واحدة الى الاسلام على « خريطة » ، توضح أن حدوده تتحرك دائما لصالحه ، وأن هذه الحدود لم يثبت أبدا انها توقفت تماما على مر التاريخ ، فهو قادر على أن يثبت ــ فى عصر الايديولوجيات ــ انه يستطيع أن يتفوق، وان يقول كلمته فى كل صغيرة وكبيرة فى الحياة ، بل ان من اليسير رد كافة الايديولوجيات التى تحكم الانسان واقتصاده فى عالم اليوم الى جزئيات فى كليات الاسلام الشاملة ، ونحن حين ندعو الى نزوله الى حياة الناس ــ كما هو الأصل فى جوهره ــ لانضعه فى امتحان لأنه فوق كل امتحان ، وانما نضـــع المتكلمين باسمه فى هذا الميدان ، صحيح أن هـؤلاء يتركون الاحداث حتى تهزهم ، فاذا هزتهم أخذوا يتحدثون فى عجلة عما عندهم ، ولكن هذا الحديث لعدم تتابع نمو حركة الفكر فيهم ، يجعل أحاديثهم شبيهة بما يقوله النائم ، أو المستيقظ من فوره من حلم .

❋ ❋ ❋

ولعل هذا هو الذى يجعل الناس يحسون أنهـــم يعيشـــون فى قلق ، ويتوهمون أنهم يتحركون فى فراغ ، ومن الطبيعى ــ والحال هكذا ــ ان تســارع بعض الأعين بالنظر الى هنا أو هناك ، وقد تطول هجرة هـــذه الأعين لأنه لا يوجد عندها الحمـــاس والصبوة والجسارة التى تجعلها تنظر فى داخلها ، او التى يجعلها لا تستقر على شىء حولها ، لأن الكسل والملل والخوف تحكم حركة الفكر من زمن بعيد ضارب فى التاريخ .

ولعل هـــذا هو الذى ربى عنـــدنا هذا « **الحول** » الذى يجعل العين لا تستقر حول النظريات الجاهزة التى تقدم من الشرق والغرب ، والذى جعل دورنا قاصرا على ان نلف كالللاب حول الاشجار التى تنمو هنا أو هناك ، ولكن الانسان الراسخ هـــو الذى يفضل دائما أن يهتدى فى المنجم على ماسته الكبيرة الحقيقية والعرق يغطى جبينه وذراعيه ونفسه ،ذلك لأن الوميض الذى يخطف العينين فى هـــذه الفترة يكون حقيقة من قلب الشعب ، وايمانه بنفسه ، فالمطلوب منا الآن هو « **المعاناة** » ، ومحاولة الاهتداء القانية الى نفوسنا ، والخوف دائما من أن يسرقنـــا احد لصالحه ، وفى ضوء هذا لا بد أن نتحمل فى شجاعة اعباء التنمية الفكرية ، ولتكن جيل القدر الذى يقع عليه عبء الاهتداء الى النفس اكثر من اى جيل آخر !

ولناخذ من « **الهجرة** » نبراسا . فقد كان يمكن ان يعيش المؤمنون في ظلال العبودية ، وفي مواجهة الأعين الضيقة والأيدي المهددة ، والمجوفين من الداخل ، والمتلئين حقدا بالغبار .. ولكنهم تجاوزوا القديم بضراوة ، وتركوا العواطف الساذجة التي تتعلق بطمانينة زوجة ، وبسمة طفل ، وفرحة دار ، ومن ثم نراهم في أول الأمر يرفعون الأقدام ويضعونها في أمل حتى يصلوا الى الحبشة ، ثم يوسعون الدائرة بعد ذلك حتى يصلوا الى المدينة المنورة ، وهم في كل خطوة يخطونها يحسون أنهم يمكن أن يؤخذوا من الخلف فيكونوا عرضة لمرمى سهم ، أو لغدر حربة ، أو لشق بسيف ، ولكنهم يحملون « **يقينهم** » ثم يواصلون الرحلة في دائرة الحذر والخوف والنار من اجل أن يتنفسوا في أرض جديدة ، وفي فكر جديد .

ولقد تم لهم ما أرادوا . ومعنى هذا أنهم تقيوا « الحصار » المفروض عليهم ، ولم ينتظروا عملية الانتصار البطيء التي كان يمكن أن تتم بعد عام أو عدة أعوام ، ولكنهم بمجرد احساسهم أنهم يمتلكون فكرا جديدا اعتقدوا أنهم لابد أن يتحركوا هم الآخرون ، ليكونوا في مستوى حركة الفكر التي كانت تشتعل قبل ذلك نفوسهم ، ثم أصبحوا بعد ذلك يمتلكونها ، ويشدون عليها بالأيدي وبالأنفس !

***

والانسان العربي اليوم يجب أن يهاجر – في الفكر – من الظروف التي تضغط عليه ، ونحن لا نطلب منه أن يهاجر الى الخارج لأنه في الخارج بالفعل ، وانما نطلب جزءا صغيرا من نفسه لنعود به الى الداخل ، لأنه بهذا الجزء يستطيع أن يكتسب تلك المناعة التي تجعله ورقة خضراء على شجرة الحياة ، لا ورقة مجهدة قد ترتفع عن الشجرة ولكنها قد تسقط فجاة من أيدي الريح المتلاعبة الى الأرض .

ان شجرة الفكر العربية لا ترفض التطعيم ، بل ان أحدا لا ينكر أن الذبول الذي أصاب أوراقها في فترات عديدة كان لأنها عزلت نفسها عن حركة العالم ، ولكنا كما نطالب بحرية الورق في الحركة ، نطالب بتثبيت الجذور والعناية بها ، ووقف الفئوس التي تدور حولها ، والتي تهوى بالفعل على جانب منها .

لقد مرت علينا فترة سلمنا فيها قيادنا الى الغرب ، وفي هذه الفترة أنصتنا وتكلم المستشرقون .

ثم جاءت بعد ذلك فترة رددنا خلالها ما قاله هؤلاء المستشرقون ، ومما يمكن أن يعثر عليه ببساطة فيما كتبه طه حسين ، وأحمد أمين ، ومنصور فهمي ، وزكي مبارك ، ومحمد حسين هيكل ، ولطفي السيد ، وتوفيق الحكيم ، واسماعيل مظهر ، وسلامة موسى ، وفرح انطون ، والتي كانت تتمثل في القول بأن العرب دخلاء على مصر وانه يجب أن يغرس في الأذهان ان الناس في مصر والعراق وسوريا وشمال افريقية أوربيون سلالة وثقافة ، وان صلة مصر بالغرب أوثق منها بالشرق ، وانه لا يوجد اليوم شرق ، وانه يجب الابتعاد تماما عن العرب ، والقول بتفضيل الأجناس بعضها على بعض ، والايمان برسالة الرجل الأبيض وحقه في السيادة ، والدعوة الى العامية ، والكتابة بالحروف اللاتينية ، وبقاء الحرب بين الأديان ، ولبس القبعة .. الخ ولقد عدل هؤلاء ماعدا واحدا أو اثنين من مواقفهم ، حين ارتبطوا بتاريخ بلادهم ، وحين خفت عن عقلهم قبضة التسليم بكل ما هو غربي ، واصبحوا يملكون حق مناقشة ما يحتكون به من افكار .

***

والآن يجب على الذين يعيشون في هذه الفترة ان يصفوا فكريا « **الجيوب القديمة** » الموجودة لصالح الغرب ، و « **الجيوب الجديدة** » الموجودة لصالح الشرق عن طريق المناقشات التي لا تمل ولا تنتهي ، وليس معنى هذا اقامة الحواجز بيننا وبين هذه الأفكار ، وانما معناه تقبل هذه الأفكار بالف ذراع ممدودة مع اعطاء الحق في مناقشتها ، وعدم تقديمها كحقوق الهية ، وفي الوقت نفسه مواجهتها بما نملك من فكر ، وباعطاء انفسنا حقا لا اقول يزيد عما يعطى للفكر الخارجي ، وانما اقول يساويه !

فنحن ابناء عصر جديد يؤمن بالانسان الذي يقف على تاريخه ، ويثق في نفسه ، ويرفض أن يكون دوره دائما هو دور « **السايس** » الذي يعدو وراء الفرس !

والآن :

هل ترانا نطمع في كثير حين نطالب برفع الوصاية الفكرية الشاملة ، وحين نطالب بمعرفة انفسنا وتاريخنا كما نعرف أنفس وتاريخ الآخرين .

***

ثم أخيرا ٠٠ حين نطالب بالمزيد من رؤية وجهك في حياتنا ، فانه لا يكفي أن نراك في حلم، أو نسمع اسمك من مئذنة . فقد يكون هذا نصيب اليتيم من رؤية وجه أبيه وسماع صوته ، ونحن لا نريد أن نكون يتامى هذا العصر ، أو لقطاء هذا الجيل ، فنحن بدونك نفقد الكثير ويموت فينا الكثير !

لقد كرمك اجدادنا وآباؤنا حين كانوا يبداون بك « القول » ، ويختمون بك الحديث ، ويلقون باسمك في المنازعات فاذا الغضب يجف والطمأنينة تكسو وجه الانسان ، كما كانوا يلقونه في افراحهم فاذا بكل شيء يومض ويزهر ، ويبدو كأن وجه الله يغشى في كل شيء حولهم .

وانا **معك – يا حبيب الانسان –** في أن بعض القلوب قد احترقت في الصدور واستحالت الى فحم أسود ، وأن الكثيرين يضلون عن مينائك ، ويغمضون أعينهم حتى لا يرون ظلمتهم تبدد بك ، ويغلقون بعقمهم خشية أن تسقط بذرة منك فيهم فيخضروا ويثمروا .

ومع أن هؤلاء يكثرون يوما بعد يوم الا انا نرجو الا « تهاجر » من أنفسهم ، لأنهم حقلك الذي ينتظر البذر . صحيح أن بعض البذور قد طارت اليهم ، وعششت فيهم ، ولكنك صاحب الأرض الحقيقية لأنك صديق حرية الانسان وصديق كرامته !

ان الحدود تتحرك في كل يوم لصالحك في كافة انحاء الدنيا ، ولكنا نرجو الا تنسى الارض القديمة بالأرض الجديدة ، والمآذن التي لا تزال تنبت بالمآذن التي انتقلت من الأعين الى القلوب ، فانت لم تأخذ من الانسان وانما أعطيته ، وانت الذي شددت منه القامة ، ووضعت في عينيه الوميض ، وكسوت ايامه بالخضرة ، وبكل هذه المعاني جعلته ينفض الرمل عن جبينه ، ويحرك بحيرات الصمت في نفسه ، يحتك بالكون في فهم وعمق ، فاذا بالأرض حصانه ، والشمس درعه ، والليل عباءته ، والسيف كلمته !

ولقد جعلته في الماضي يغير ميزان القوى ، ويرفع عن نفسه ضغط الانسان حينما يصبح هذا الانسان حاكما طاغية ، أو سفاحا دمويا ، أو ماكرا عنكبوتيا ، وبهذا سلمت لكل انسان تاجا وصولجانا ، ومن هنا أصبح الانسان لأول مرة في التاريخ سيد نفسه ، وسيد العالم !

***

ونحن اليوم لا نعلن حاجتنا اليك فقط ، ولكننا نؤكد أن العالم كله في حاجة اليك ، فالانسان **– على مستوى العالم –** يحدث الفرقة بين اخيه الانسان ، فهناك الانسان الأسود والأصفر والابيض ولكل من هؤلاء درجات، وهناك الانسان الذي لايؤمن الا بالحلول الدموية والضغط على القدرات باصبع كبيرة .. ولكنك انت الذي يمكن أن تقيم السلام بين الانسان ونفسه وبين الانسان ومجتمعه ، وبين المجتمع والعالم . فعالمك لا يعرف الملل والتمزق والتفسخ والترهل ، وعالمك لا يعرف الدماء والحيوانية وتدمير الانسان ، ومن هنا لا بد لك من هجرة جديدة ، لا الى الشرق فقط ، ولكن الى كل جزء من أجزاء العالم .. هجرة جديدة بالوجوه العربية وبالفكر الاسلامي !

فاهبط من جديد في الرجال ، وبارك حركتهم في الحياة ! وفي التقدم !

« عبده بدوي »

محمد

محرر العبيد

بقلم : محسن عبد الحي

تناضل الانسانية منذ الأزل ـ نضالا متواصلا من أجل تقدمها وحريتها ..

ولعل أهم اسباب نضالها كان وما زال يدور حول الحرية ـ شكلا ومضمونا ـ صحيح ان معنى الحرية قد تطور بتطور اوضاع الانسان الحضارية وذلك من خلال تراكم العديد من التجارب البشرية عبر الزمن. ولكن ظلت الحرية مهما كان شكلها ومضمونها هى المطلب الملح للانسان .. يعيش ويناضل من اجلها .

وعلى الرغم من تطور مفهوم السيد والعبد ـ سواء أكان هذا السيد فارسا محاربا ام اقطاعيا مالكا للارض وما عليها ـ ام راسماليا يتحكم فى السلعة الوحيدة التى يملكها الانسان وهى قوته العضلية والذهنية . وسواء أكان العبد رقيق ارض ام اسير حرب أم عاملا مغلوبا على امره يناضل من اجل حريته المنقوصة . فان المشكلة القائمة منذ الأزل حتى الآن رغم اختلاف مقاييسها وتعدد تعريفاتها ـ هى استغلال الانسان لأخيه الانسان وتسخيره اياه فى تحقيق رغباته فى ظل نظم اجتماعية مختلفة وعبر آلاف السنين ـ فى الوقت الذى تضفى فيه النظم الاجتماعية على هذه الاوضاع الصفة الشرعية او ماكان يسميه الرومان بالقانون . او ما نسميه نحن اليوم بالتعاون من أجل التقدم ـ أو كما أطلق عليه الاستعماريون فى بداية القرن التاسع عشر رسالة الرجل الابيض وما هو قائم حاليا فى امريكا تحت اسم الحقوق المدنية او فى جنوب افريقيا تحت شعار السيادة للابيض والذلة والمسكنة للأسود ـ ذلك الانسان الاسود الذى وضعوه هناك فى مصاف الكلاب .. !!

فالعبرة اذن ليست فى المسميات اللغوية ـ ولكنها فى مضمون العلاقة القائمة بين الناس .

ولقد كان وما زال الدين الاسلامى دينا تقدميا يدعو الى المساواة بين الناس ويامر بها ـ يقول الله تعالى ..

« ومن آياته خلق السموات والارض واختلاف السنتكم والوانكم ان فى ذلك لآيات للعالمين » .

وتقرع هذه الآية الاسماع بأن الله وحده هو الذى خلق السموات والارض ، وهو الذى جعل لكل امة لسانا ولكل بيئة لونا. فما كان لامة أن تبغى على امة لانها خير منها ولا لفرد أن يبغى على فرد لانه خير لونا منه . فانما السماء والارض من نعمة الله ومن فضل خلقته وان اختلاف الألسنة من عمله لحكمة. واختلاف الالوان لا ينفى المساواة لانه من صنع الله .

وقوله تعالى ..

« يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا . ان أكرمكم عند الله أتقاكم . »

وان في هذه الآية لأوضح دليل على أن السلام هو الرغبة الالهية وانما الناس يقتتلون لانهم ظالمون طامعون كافرون بنعمة الله وآياته ـ فقد جاء الاسلام بالسلام واشتق منه اسمه ودعا اليه ٠٠ وجاء بالعدل والمساواة وامر بهما وعالج مشكلة الحياة ذاتها ووضع لها من التشريعات ما يكفل لها التقدم والاستمرار ٠

***

وكتاب اليوم ـ محمد محرر العبيد ـ يعالج هذا الموضوع الحساس ـ بصورة موضوعية جذابة ٠٠ اذ أن مؤلفه الاستاذ ـ محمد شوكت التوني ـ لم يقف عند حدود ـ شرح الآيات القرآنية التى تدعو الى تحرير العبيد فقط ـ بل انه تجاوز ذلك ـ وعرض لنا حياة الرسول وصلتها بطبقة العبيد في طفولته وصباه وشبابه قبل أن يتزل عليه الوحي ـ ويكلف بأشرف رسالة حملها أشرف الخلق أجمعين ـ رسالة الاسلام والسلام والعدل والمحبة والمساواة ٠٠

وقد بدأ المؤلف بعرض مبسط لتاريخ الرق ومنشئه ٠٠ وخاصة عند اليونانيين الذين دعا فلاسفتهم الى الرأى القائل بان الرق ضرورة من ضرورات الحياة الاجتماعية ـ وكما ذكر ارسطو فى كتابه السياسة « ان الملكية يجب أن تصان وان تكفل لها الحريات ـ وذكر أن الملكية من عناصرها التصرف والاستغلال ٠٠ وذكر الآلات المعدة للاستعمال فقسمها الى آلات حية وآلات جامدة وذكر من الآلات الحية الدواب والبهائم والعبيد ٠٠

وقامت المدنية والحضارة الرومانية على جهود العبيد حتى فى الفنون فنون الموسيقى والرقص والمعمار والرسم ٠

وقد كان « فيدون » الذى الف مجموعة من كتب الفلسفة عبدا وظل كذلك حتى مات ودفنت معه ذلة عبوديته ٠٠ وان كانت آثاره الفلسفية قد خلدت من بعده أجيالا وأجيالا ٠

وتخلو الديانة المسيحية على ما فيها من الاخوة والمحبة المتمثلة فى حياة السيد المسيح وتعاليمه من الافصاح عن الرق والعبودية٠ وليس فى أى الاناجيل عبارة صريحة عن مقت الرق والحض على فك الرقاب٠ وقد جاء فى نداء لبولس الرسول موجه الى العبيد « أن يطيعوا سادتهم فى خوف وخشية كما يطيعوا المسيح » ويقول القديس باربل « ويتحقق على العبد أن يطيع سادته بكل اخلاص وبطيبة قلب تمجيدا لله» ويقول القديس ازيدور البليسى ـ «ان العبد المسيحى يجب أن يظل عبدا وأنه اذا فتحت له الحرية عليه الا يقبلها فان خدمة العبد للسيد على الارض خدمة للسيد فى السماء ٠

وهكذا نرى أن ارسطو وافلاطون قد اعترفا بالرق وشرع له جستينيان ونظمته القوانين واعترفت به المسيحية واقرته الموسوية وظل بعد محمد باكثر من الف عام مباحا لا يرتفع صوت بتحريمه ٠

وبعد أن يذكر الكتاب الآيات القرآنية التى تدعو الى عتق العبيد واعطائهم حريتهم الانسانية يشرح لنا بعض المواقف الانسانية ـ وما أكثرها ـ التى وقفها الرسول صلوات الله وسلامه عليه ـ وكفاحه من أجل تحرير العبيد ٠٠ وخاصة قبل نزول الوحى فقد رأى محمد فى مكة بشاعات من ظلم الرقيق ـ وساءل نفسه كثيرا عن هذا الانسان المخلوق كبقية الناس وله نفس الاعضاء ، ويحس نفس الاحساس٠ ويدرك بنفس العقل ، ويتميز بالعمل والانتاج ٠ ومع ذلك فليس له أى حق من حقوق الحياة ٠٠ سوى الطعام والشراب بما هو أدنى من طعام الحيوان وشرابه ٠

بل لعل محمدا قد عجب من هذا المجتمع الذى يضرب العبد الانسان ويعذبه ويقتله ويبيعه ويشتريه فى حين أنه المجتمع الذى يعبد جمادا أصم لا يحس ، ولا يعى ، ولا يتكلم ، ولا يعمل قائما فى مكانه لا يريم ولا يتحرك ولا يفيد ولا يضر ٠ ومع ذلك فان هذا المجتمع يبذل له التقديس والتكبير ويسوق اليه الذبائح والنذور ويخشاه ويرتجف خوفا من غضبه ! وقد أثار هذا التناقض تفكير محمد الصبى والشاب ـ وأنتج هذا التفكير سخطا على الأصنام واحتقارا لشأنها ورحمة على العبيد واشفاقا على حالهم وسعيا ذهنيا لتوفير حياة خيرا من حياتهم ٠٠

وقد صور المؤلف اشعة الشروق الروحانى وهى تنبعث من طفولة محمد لتسرى فى رفق ويسر الى صباه ثم الى شبابه ثم الى اكتمال النبوة فى اكتمال رجولته ٠ وكان الله سبحانه وتعالى وهو يضع علمه وحكمته حيث يشاء يصنع بجليل صنعه وفائق قدرته هذا الوعاء الانسانى العظيم الخالد المتفرد بالسمو الانسانى لكى يكون متماثلا ومتكاملا مع الرسالة العظمى التى أكمل بها دينه وأتم نعمته للخلق ٠

ولذلك جاءت مشيئة الله بمحمد ـ وفي محمد ـ بكل جارحة وكل نقطة دم تتماثل مع دين الله ٠ وتتكافأ مع ما أمر الله به وما نهى عنه ٠ وتتفاعل مع الارادة الالهية فيما أراده من جمال وخير وحب وتعاون وصلاح واستقامة لعباده في كل زمان ومكان ٠

كان النبي محمد الانسان المثال لكل ما أمر الله وما نهى عنه لم يخرج عن الاطار الجميل الذى رسمه مبدع الخليقة والكائنات قيد شعرة ٠

فلم يقل انه من قريش تفاخرا ولا ابن عبد المطلب اعتزازا ، ثم لم يقل بعد ذلك أنه خير الخلق وأنه رسول الله ونبيه ومختاره ومصطفاه تعاليا وتعاظما، وانما ردد ما قاله الله عنه « انما أنا بشر مثلكم »

ودعا ربه أن يعيش مسكينا ويموت مسكينا ويحشر يوم القيامة في زمرة المساكين ٠

ويشاء الله تعالى ـ جلت قدرته ـ ان أول ثدى يقدم لمحمد صلى الله عليه وسلم لكي يرضع منه ـ يكون ثدى ثويبة عبدة عمه أبي لهب ٠ والمرضعة في الاسلام ـ أم تحرم حرمة الأم ولها حقوق الام ٠ وشهد محمد من مظاهر الحب المتقد في قلب ثويبه صورا في هروبها من بيت سيدها وركوضها الى بيت آمنه لكى تبقى بجوار محمد الصبي الجميل كما راى في قدوم سيدها وسيدتها في طلبها وما كان ينزل بها من عذاب جزاء سيئا على شغفها به ورغبتها في البقاء معه ٠

وعندما رحل محمد صلى الله عليه وسلم مع حليمة السعدية لحقت به ثويبة لكى تكون بجانبه ـ وعندما امسك بها ابو لهب فزع محمد الطفل وسقط منها على الارض ثم انهال أبو لهب على ثويبة بالسوط فمزق ثوبها وجسدها ـ حينئذ ندت من عيني محمد دمعتان ـ هما أول دمعتين قطرتا من أكرم عينين ، رحمة بالانسانية ، وشعورا بالام الغير ، وأسى على ظلم أوقعه ظالم ببرىء ضعيف ٠

وعندما عاد الرسول الى مكه بعد بلوغه الخامسة ورأى ما فيه ثويبه من عذاب يكيله لها سيدها وزوجته القاسية ٠٠ تعلق بثوب عمه أبي لهب وقال له « انقذها ياعمى من أجلى ٠٠ انني أشتريها منك٠٠ خذ دارى وخذ أغنامى وأعطنى ثويبة ٠٠ »

وشاركت بركة الرسول صلوات الله وسلامه عليه معظم مراحل حياته وشاركته في تحمل موقف انساني رائع ـ هو فقده لوالدته في قلب الصحراء عندما أخذت الحياة تتسرب من جسد آمنه وهى أكمل ما تكون عافيه وأقوى ماتكون شبابا ، وأنضر ماتكون وجها وجمالا ٠ تاركة وراءها محمدا اليتيم ـ يخرج من يتم الى يتم ٠٠ كانما يتمرغ على بساط من يتم كلما انتهى امتدت أطرافه ٠٠ والقى محمد بكيانه ووجدانه في أحضان « بركة » ، وأصبحت له الام والاخت والحامية والحاضنة ٠

وانفرد محمد وبركه بعد موت عبد المطلب وجمعهما بيت لم يكن يضم عندئذ الا الذكريات المؤلمة وخيالات الاحياء المفارقين ٠٠

وبعد زواجه صلوات الله وسلامه عليه من السيدة خديجة كان له عبد اسمه زيد بن حارثه من سبي الحرب ـ وكان محمد الانسان يدرك أن الرق ظلم . وان العبودية شناعة وفظاعة ومخالفة لنواميس الانسانية فآثر أن يحيط هؤلاء الأرقاء بما يملك من الحب والعطف والحنان وكريم المعاملة فأحبوه ٠٠ حتى أن زيدا عندما التقى بوالده وهو سيد في قومه ـ وكان لقاءا مؤثرا ٠٠ رق قلب محمد ٠٠ الحنون الكريم ٠٠ النبيل وسما بانسانيته الى أعلى ما تصل اليه الانسانية من انفعال وقال لزيد :

« ان شئت فأقم عندى ، وان شئت فانطلق مع أبيك »

ولكن زيدا آثر الرق ـ وهو الحر ابن الاحرار ـ لا حبا في الرق وهو أبغض الشنائع لدى كل نفس ولا رغبة في العبودية ٠ ولكن حبا في محمد ، ورغبة في البقاء في ظله وجواره ٠

وقصة بلال بن رباح معروفة لدينا جميعا ٠٠ الا أن تكريم الرسول له وفرحه به عندما أعتقه أبو بكر من سيده كانت لا تقدر ـ وكان بلال كاتبا من كتاب الوحي ـ وكفاه شرفا أنه كان أول من يتلقى عن رسول الله كلام الله ٠ فعن الله الى جبريل الى محمد الى بلال ٠ وعندما دخل الرسول مكة منتصرا لم يجد من يكرمه بهذه المناسبة الا أسامة بن زيد ـ فيردفه وراءه على راحلته وقد دخل معه الكعبة ٠

وعندما عهد الرسول صلوات الله وسلامه عليه الى أسامة بن زيد بامارة الجيش هاج الانصار والمهاجرون واشراف العرب من المسلمين وقالوا « يؤمر غـلاما حدثا على جلة الانصار والمهاجرين » . فخطب فيهم صلوات الله وسلامه عليه وقال :

« أيها الناس أنفذوا بعث أسامه فلعمرى لئن قلتم فى امارته لقد قلتم فى امارة أبيه من قبله وانه لخليق للامارة وان كان أبوه خليقا لها » وبعد وفاة الرسول عهد أبو بكر الصديق الى أسامه بامرة الجيش .. ولما عاد مظفرا ولاه أبو بكر امرة المدينة حين خرج الى وقعة ذى القصة — وكان أسامة أسود اللون أفطس الأنف ولكن ذلك لم يغض من قـدره ولا منعـه أن يتولى أقرب مكان من الرسول وامرة الجيش وامرة المدينة — هذا عدى موقف الرسول الكريم من مارية القبطية — وسلمان الفـارسى . وغيرهم من الموالى والعبيد ..

هؤلاء هم العبيد فى حيـاة محمد صلى الله عليه وسلم . حاضنته منهم ومرضعته منهم وابنه المدعى منهم وابن ابنه منهم وزوجه القبطية منهم واحباؤه منهم — لقد عطف عليهم وقربهم اليه قبل أن يؤذن الله فى الكون بالعتق وتحرير الرقاب فما أن جاء امر الله بالمساواة والحرية والعتق حتى كان لرسول الله شأن اى شأن فلم يبـق واحدا من عبيده الا أعتقه واحتذى الصحابة برسول الله فاعتقوا عبيدهم وكان اغنيـاؤهم يشـترون العبيد ويعتقونهم وكان يقول للمؤمنين دائمـا « من كانت له جارية فأدبها وعلمها علما ثم اعتقها وتزوجها كان له أجران »

وقوله كذلك : « من أعتق رقبة استنقذ الله بكل عضو منها عضوا منه من النار »

***

وبعد : لقد أحب محمد ثويبة الامة حبه للانسانية — رغبة مبكرة منه قبـل نزول الوحى — فى ضرورة تخليص الارقاء من ظلم سادتهم وتخليصا لنفوسهم المعذبة . وعرض على عمه بيته وغنمه وكل ما يملك لكى يربحها — وكانت الدمعتان الطـاهرتان اللتان ذرفهما صلوات الله وسلامه عليه من أجـل ثويبة بمثابة الشعور الانسانى بآلام الغير الذى يتجسد فى ظلم الانسان لأخيه الانسان تحت ظروف التملك بالقوة والقهر — وشارك أم أيمن الحياة القاسية بعد وفاة أمه وأبيه .

ونطق بأول صيحة فى التـاريخ ليـؤكد حرية الرقيق — عندما قال — لزيد بن حارثة « ان شئت انطلقت مع أبيك وان شئت بقيت معنا » فأعطى للعبد الانسان المتمثل فى زيد بن حارثة — حرية اتخـاذ القرار الذى يراه مناسبا له ولمستقبله — فى الوقت الذى كان يحبه فيه حب الاب لابنه .

واذا كان « وليم بت » قد وقف فى مجلس العموم البريطانى فى عـام ١٨٤٤ يطـالب بتشريع يحرم الرقيق . فثارت عاصفة فى وجهه من النواب كادت تخلعه من كرسى الرياسة لولا سـحبه لاقتراحه . فان محمدا النبى العربى كان يأمر عام ٧٠٠م . أى قبل ذلك بألف ومائة وخمسين عاما بأن تعتق جارية عرفت أن الله فى السماء وأن محمدا هو رسول الله.

واذا كنـا نحتفل فى هذه الايام بذكرى هجرته صلوات الله وسلامه عليه فى سبيل الحق واعـلاء كلمـة الله .. فاننـا يجب أن نأخذ من سيرته الانسانية ما يكفى عقولنا وأرواحنا — لا فى سيرته مع العبيد وتحريرهم فقط — وانما فى نضاله وجهاده المستمر من أجل نشر دعوته التى آمن بها وضحى من أجلها ..

يا رسول الله ..

لقد ناديت بالمسـاواة والاخاء والحرية فاهتدى بندائك قوم وما زال أقوام يدعون التقدم فى المدنية وفى العلم يستذلون البشرية بدعاوى ملفقة .

ولا زال العبيد هم الارقاء الى اليوم ..

ولكن بأسماء مختلفة وأوصاف متباينة فباسمك ومن أجلك يا رائد الحرية العظيم — سـوف ينتصر الانسان .

« **تحسين عبد الحى** »

كتب جديدة

يقدمها : أحمد عبد الصمد دياب

● **عظمة الرسول**

تاليف : محمد عطية الابراشى

الناشر : دار القلم

يقع الكتاب فى أكثر من ثلثمائة صفحة من القطع الكبير ، وهو مقسم الى ثلاثة عشر فصلا ، تناول المؤلف فيها العرب قبل الاسلام ، ونشأة الرسول قبل الرسالة ، وموقف قريش من دعوته ، وهجرة الرسول الى المدينة ، وعظمته الاخلاقية ، واثر الاسلام فى شتى المجالات السياسية والاجتماعية والنفسية ، ودعائم الاسلام الخمس ـ فى العبادات ، والايمان بالله ، ومكانة المرأة وحقوقها فى الاسلام وموقف الاسلام من تعدد الزوجات ، والطلاق وتعاليم المرأة

● **احكام الاولاد فى الاسلام**

تاليف : زكريا احمد البرى

الناشر : الدار القومية

هذا الكتاب الذى يقع فى مائة صفحة من القطع الكبير أحد أعداد سلسلة التعريف بالاسلام التى تصدرها المكتبة العربية ، والمؤلف عالم فاضل واسع الأفق وهو مدرس بكلية الحقوق ، وقد قسم دراسته الى خمسة مباحث .

المبحث الاول قواعد ثبوت النسب واسبابه ، والمبحث الثانى فى أحكام الرضاع والمبحث الثالث فى أحكام الحضانة ، والمبحث الرابع فى احكام النفقة ، والمبحث الخامس فى نظام الولاية على النفس وعلى المال ..

ومنهج الدراسة يعتمد اساسا على المذهب الحنفى فى بيان الاحكام الفقهية ، وان كانت هناك اشارات الى آراء المذاهب الاخرى كلما اقتضى الامر بيانها ، كما أن هذه الدراسة تهدف الى توضيح قيمة الاسلام فى وضع أسس حكيمة لبناء أسرة ثابتة راسخة .

وقد تعرض المؤلف الى بعض ما يشغل الراى العام ، كالتلقيح الصناعى والحضانة واللقطاء ، فابان عن موقف الاسلام الانسانى من هذه القضايا وغيرها مما يتصل بالاسرة .

● الحكومة الخفية

تاليف : ديفيد وايز ـ توماس روس

ترجمة : جورج عزيز

الناشر : دار المعارف ـ بالقاهرة

هذا هو الكتاب الاول من سلسلة أشهر الكتب الجديدة فى العالم ، التى بدأت فى اصدارها دار المعارف ، والمؤلفان كاتبان امريكيان مشهوران ، وقدم لهذا الكتاب الذى بلغت صفحاته ٣٤٢ صفحة من القطع المتوسط ، الاستاذ محمد حسنين هيكل .

والكتاب كما يذكر الاستاذ هيكل، يكشف خبايا كثيرة ومعانى وراء هذه الخبايا وذلك فى مجال السياسة الامريكية

والكتاب يشير الى أن فى الولايات المتحدة حكومتين احداهما حكومة مرئية والاخرى خفية ، الاولى يقرأ عنها المواطنون فى الصحف والاخرى تجمع المعلومات والاسرار ، وتدير أعمال التجسس ، وتضع خططا سرية وتنفذها فى جميع أنحاء العالم

● **حرية الفكر فى الاسلام**

تاليف : عبد المتعال الصعيدى

الناشر : دار الفكر العربى

يقع الكتاب فى ١٢٨ صفحة من القطع المتوسط، والمؤلف الاستاذ الصعيدى الاستاذ السابق بكلية الدراسات العربية عالم مجتهد واسع الافق .

والكتاب مقسم الى ستة فصول : تناول المؤلف فى الفصل الاول المقارنةبين الحرية الفكرية والحرية الدينية ، وتقسيم الحرية الفكرية الى ثلاث حريات ، الحرية العلمية والحرية السياسية والحرية الدينية ، كما تناول فى الفصل الثانى الجزاء والحرية الفكرية، وفى الفصل الثالث الاسلام والحرية العلمية ، وفى الفصل الرابع الاسلام والحرية السياسية ، وفى الفصل الخامس الاسلام والحرية الدينية،وفى الفصل السادس عرض المؤلف لبعض رواد الفكر فى الاسلام كعثمان بن عفان ، وخالد بن يزيد ، وعمر بن عبد العزيز ، والمأمون ، والجاحظ ، والمعرى ونصير الدين الطوسى وابن رشد ، ويحيى بن أكثم

● **تاريخ الحضارة الاسلامية فى المشرق**

تاليف : د . محمد جمال الدين سرور

الناشر : دار الفكر العربى

يقع الكتاب فى أكثر من ٣٦٠ صفحة من القطع الكبير ، وهو يعرض تاريخ الحضارة الاسلامية فى المشرق بين عهد نفوذ الأتراك الى منتصف القرن الخامس الهجرى

والكتاب مقسم الى سبعة ابواب :

الباب الأول : تطور النظام السياسى فى الدولة الاسلامية فى عصر نفوذ الاتراك

والباب الثانى : البويهيون وسياستهم فى اقامة سلطانهم

والباب الثالث : ظهور الدولة المستقلة بالمشرق كدولة الحمدانيين بالموصل وحلب والطاهرية والصفارية فى فارس .

والباب الرابع : النظم الادارية والمالية فى هذه الدول .

والباب الخامس : الحالة الاقتصادية ، فى الزراعة والصناعة والتجارة .

والباب السادس : الحالة الاجتماعية ، من حيث السكان وترف الخلفاء .

والباب السابع والأخير : النهضة الثقافية ،واهم مراكزها فى العراق وفى الشام ومصر ، وهى تشمل الحركات الدينية والأدبية والعقلية وسياسة الفاطميين فى تشجيع الشعراء والعلماء والكتاب

« بقية المنشور على ص ٧ »

وسبعين وسبعمائة سنة ، ثم دب دبيب الشقاق بين حكامهم وزعمائهم وقادتهم ، حتى صار بعضهم يتحالف مع عدوهم الرابض على حدودهم للوقيعة بالبعض الآخر ، واكتشفت الملكة ايزابيلا وزوجها فرديناند هذه الثغرة فى صفوفهم ، فنفذا منها ، وطلبا النجدات من جميع بقاع اوروبا ، فجاءتهما النجدات تترى من اقاصيها وأدانيها ، ونجح هذا التكتل الاوروبى فى طرد العرب من الاندلس .

وفى هذه الساعات الرهيبة لم يتحرك اى شعب او أمير فى المشرق العربى لنجدة عرب الاندلس فى المغرب ، لأن التفكك كان قائما بينهم ولأن الانانية أسدلت حجابا كثيفا على أواصر القومية العربية ، وجعلت كل شعب بمعزل عن أخيه ، لايعنيه مايصيبه فى قليل او كثير .

ولو مضينا نتصفح تاريخ الامة العربية لراعتنا صور كثيرة من هذا التفكك ، الذى كان يغذيه باستمرار حكام حرصوا على ايثار منافعهم العاجلة على صيانة الكيان العربى ، وكان شعار كل منهم ان يقول : « لنفسى السلامة وعلى غيرى العفاء » فكان أول الهالكين .

والآن وقد حاولنا ان نستمع الى وحى الهجرة ، واتجهت أبصارنا الى استجلاء أسباب القوة الروحية الضخمة التى لازمت الصدر الاول من هذه الأمة ، تلك القوة الروحية التى مكنتهم من التغلب على جميع العقبات ، ومن سحق جميع العراقيل التى اعترضت التوحيد العربى ، نرد البصر مرة اخرى الى حاضرنا والى المحيط الدولى الذى نعيش فيه ، لنرى بكل وضوح مؤلم ان اختيارنا أصبح مقصورا على أمرين لا ثالث لهما : اما ان نقف صفا واحدا كالبنيان المرصوص ، وجبهة واحدة متحدة الاتجاه والهدف والعزم ، مستعيدين كل اسباب القوة الروحية التى استعان بها اسلافنا ، وآخذين بكل اسباب القوة المادية التى كشف عنها علم هذا العصر، واما ان نستسلم الى الفناء الشامل الذى لايبقى ولا يذر .

« د . محمد عبد الله العربى »

قراءات في المجلات العربية

يقدمه : محمد العواني



● **ذكرى الهجرى :**

ما أحلى الحديث عن الهجرة ، وما أروع ذكراها العاطرة ، ففي كل عام يحتفل بها المسلمون في مشارق الارض ومغاربها ، ليأخذوا منهـا العبرة وتصفو نفوسهم وتتطهر أرواحهم ، ويمضـون في سبيل عقيدتهم التي من أجلهـا يعيشـون ولها يكافحون .

اننا حين نتذكر الهجرة انما نتذكر هذه العقيدة التي لا تضطرب ولا تتزعزع ، والرأى الذى لا يتغير ولا يتحول ، نتذكر تلك الشجاعة التي تسلحت بالايمان والثقة بالله ، نتذكر هـذا النفر القليل من المؤمنين الذين اضطرهم الشرك أن يغادروا مكة ، فاذا هم بعـد فترة وجيزة تدين لهم الارض ويصبحون سادة الدنيا .

حين تأتي الهجرة تعود الى النفس هذه الذكريات وتتصور هذه المأساة الأليمة التي لم تشاهد الانسانية مثلها على تعاقب العصور ، مأساة الصراع العنيف بين الحق في مضائه وقوته ، والباطل في تخبطه وجبرته ، ذلك أن محمدا صلى الله عليه وسلم حين دعا كفار مكة الى هذا الدين ، امتلأت قلوبهم حقدا عليه ، وكذبوه وهم يعلمون انه صادق في دعوته ، وناصبوه العداء ، ووقفوا في وجهه يتلمسون كل وسيلة ليثنوه عن غرضه ، ولكنه صلوات الله وسلامه عليه يمضى في طريقه ويعرض عنهم لا يبالي بوعدهم أو وعيدهم ، معلنا أنه لن يترك هذا الامر حتى يظهره الله أو يهلك دونه .

وحين يجد الكفار في محمد اصرارا على دعوته وحرصا على تبليغها ونشرها ، وتعييهم الوسائل والحيل ، يتشاورون بينهم في أمره ويستقر رأيهم على قتله .

وحين يصل الامر الى هذا الحد يأذن الله له بالهجرة اذ لابد من وطن جديد يصون العقيدة ، ويحوطها بالعزة والكرامة ويأخذ الرسول طريقه الى المدينة وهناك يجد فيها حالا تختلف ، وجد أهلا خيرا من أهل وجيرانا خيرا من جيران ، وجد دعاة كثيرين يبثون عقيدته ويحملون نوره ،ويمنعونه مما يمنعون منه نساءهم وأبناءهم ، وهكذا غير محمد صلى الله عليه وسلم بهذه الهجرة مجرى التاريخ « وبدل أرضا بأرض وأديانا بدين ولغات بلغة وعادات بعادات ، ورجسا بطهر ، وفسادا بصلاح ، وفوضى بنظام ومحا دولا ، وأقام دولة » .

وتطيب الحياة للمسلمين في المدينة وينعمون بالامن والاستقرار والحرية ، ويحولون العالم أجمع من ركود الى حركة وينقلون البشر من ظلمات الجهل الى نور العرفان .

● **انتشار الاسلام :**

وقد كانت الهجرة سببا في امتداد الاسلام الى آفاق بعيدة ، وجعلت دعوته تخطو خطوات واسعة نحو الانتشار والقوة وتعدت شبه الجزيرة العربية،

ودانت بها أمم كثيرة واصبح لها فى كل مكان انصار واعوان ، ذلك أن المسلمين بعدها لم يتوقفوا عن الفتوحات ، ويحكى لنا التاريخ على صفحاته كثيرا مما قام به هؤلاء القادة الابطال من البطولات الرائعة والجولات الموفقة ، وعرضت مجلة رابطة العالم الاسلامى صورا من تلك المعارك التى كانت خيرا وبركة على الاسلام، وقد تناولت هذه المجلة هذه الفتوحات التى تمت فى عهد يزيد بن معاوية ذلك أنه حين تولى الحكم اختار « سلم بن زياد » حاكما عاما للبلاد الشرقية ، واستقر سلم مدة فى البصرة وأرسل الحارث بن معاوية الحارثى أميرا على خراسان ويختار « يزيد بن زياد » ليكون حاكما على اقليم سجستان .

وجرى العرف قبل أن يتولى « سلم » امارة هذه البلاد أن الجيش الاسلامى لا يبدأ حركاته التقدمية الا فى وقت الصيف ، حتى اذا جاء الشتاء وقف الزحف وعاد جميع أفراده الى المدن التى كانت مراكز قوة للمسلمين ، ويجد ملوك خراسان فى توقف حركة الجيش أثناء الشتاء فرصة لعقد اتفاقات وأحلاف يقاومون بها زحف المسلمين ، وما ان أتى « سلم » وتولى الامارة حتى واصل الزحف غير مبال بصيف أو شتاء ومضى فى حملاته برفقة القائد العظيم « المهلب بن أبى صفرة » .

وتوجه المهلب بامر من سلم الى مدينة من مدن خوارزم حيث تجمع فيها ملوك خراسان وضرب عليها الحصار حتى اضطروا الى الاستسلام وطلبوا الامان لارواحهم مقابل جزية تقرب من عشرين مليونا من الدراهم .

وفى الوقت الذى تم فيه النصر للمهلب نجد أن يزيد بن زياد أمير سجستان لم يوفق فى مهمته وغدر به أهل (كابل) واسروا أخاه عبيدة بن زياد وما أن وصل الخبر الى سلم حتى أصدر أمرا الى « طلحة الطلحات » أحد قواد المسلمين الذى كان يقيم فى كابل فى ذلك الوقت بأن يتوجه الى اقليم سجستان ، وتمكن طلحة من توطيد الاسلام فى ربوع هذا الاقليم وعادت الوية التوحيد الى ظهورها فى سمائه .

ولم يقف انتشار الاسلام فى البلاد الشرقية عند هذا الحد، بل امتد الى بلاد كثيرة وتجاوز هذا النشاط شمال افريقيا على يد القائد العظيم « عقبة بن نافع » الذى اتخذ مدينة القيروان مقرا له . ويخرج عقبة على رأس الجيش حتى يصل الى مدينة « بجاية » وهناك تصدى له عدد كبير من الروم ولكنه انتصر عليهم ، واستمر فى مواصلة زحفه حتى وصل الى اقليم « الزاب » فى أرض الجزائر الجنوبية على حدود الصحراء الكبرى ، وقصد مدينة (اربة) ودارت حولها معارك كثيرة انتهت بانتصار عقبة وفرار حاكمها الرومى الى مدينة (تاهرت) التى تسمى الآن فى الجزائر باسم (تيارة) .

لكن الامر لم يقف بعقبة عند هذا الحد بل ظل يواصل السير حتى وصل الى مدينة (طنجة) وعندها لم يجد اى مقاومة تذكر واستقبله بطريق الروم بالحفاوة والود ، وتتوق نفس عقبة الى الاندلس . ويتقدم الى منطقة السوس الاقصى جنوب مراكش فالتقى فى هذه المنطقة بقبائل البربر فعرض عليهم الاسلام بادىء الامر ودارت بينه وبينهم معارك طاحنة انتهت بانهزامهم على الرغم من قوتهم وصلابتهم وظل عقبة يتعقب فلولهم حتى وصل الى ساحل المحيط الاطلسى .

هذه صور من البطولات الاسلامية التى امتلأ بها تاريخ الكفاح الاسلامى ، وهى على كثرتها تدل على ما كان يتحلى به المسلمون الاول من الايمان بالله والثقة بانفسهم وما كانوا يؤمنون به من انهم خير أمة اخرجت للناس تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتؤمن بالله ، وما أحرى المسلمين الآن أن يترسموا خطا الاوائل وأن يقتدوا بهم ، فيحملوا مشعل الاسلام الى القارات التى حولهم ويعملوا على نشره بما لهم فى اجدادهم من أسوة فى الكفاح وسينصرهم الله ، ان الله على نصرهم لقدير .

وتحدث عدد من المجلات عن هذه المناسبة الكريمة ، فمن ذلك أن نشرت مجلة «منبر الاسلام» مقالا عن المجتمع الاسلامى بعد الهجرة ، يخلص فيه كاتبه الى أن الأمة الاسلامية الآن فى حاجة ماسة الى أن يسود بينها التعاون ، لأن كتائب الشر من حولها تتحفز ، والعالم المادى الموتور يريد أن يقتص من المسلمين أو يشل حركتهم ، ليفسح الطريق أمام مذاهبه وافكاره ، وأمام أطماعه وأحلامه ، ثم وضح أن آمال المسلمين عامة ، والعرب بنوع خاص هى أن يكونوا صفا واحدا وقلبا واحدا تحت قيادة واحدة، لأننا فى وضع لا يسمح لأحد ــ فردا كان أو دولة ــ أن يشذ عن الجماعة او يتنكب الطريق أو يؤثر مصلحته الشخصية « وان هذه امتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون » .

« محمد العوانى »


أسبوع الكتاب العربي
الجمهورية العربية المتحدة
الثقافة والإرشاد القومي
١٦٩٥
• معرض الكتاب العربي يشترك فيه ٥٧ هيئة .
• مؤتمر عام لمناقشة مشاكل الكتاب العربي .
• معرض لتطور فن الطباعة .
• معرض للفنون التشكيلية .
• ندوات لكبار الكتاب .
• عروض سينمائية .
كفر الشيخ من أول مايو ١٩٦٥ إلى ٧ مايو ١٩٦٥ بمبنى الاستاد الرياضي



العدد ٩٤

الثمن ٣

الدار القومية للطباعة والنشر